

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُسْتَقْبَلُونَ

الاشتراكات

١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ عن ثلاثة أعداد
يضاف إليها أجرة
البريد خارج القطر

صاحب الاستبصار
ورئيس التحرير
سمير رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع المنيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون: ٢٤٤٥٥٠

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي
سنتها عشرة أعداد

مارس سنة ١٩٥٤

رجب سنة ١٣٧٣

غزوة بنو نضير

كان ذلك في غرة رجب . . .

وبعد اثنتين وعشرين سنة قضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الميامين في بلاء متصل ، ثلاث عشرة منها بين أهل مكة العتاة ، وثمان في المدينة : من غزوة إلى غزوة ، ومن سرية إلى سرية ، آخرها سرية علي بن أبي طالب قبل ليال معدودات ، خرج فيها على رأس مائة وخمسين من وجوه الأنصار ، لهدم صنم لطيء عبدوه من دون الله ، وشنوا الغارة مع الفجر ، وهدموا الصنم ، وعادوا وأيديهم مملوءة بالسبي والأنفال .

وكان الناس في حر شديد ، وقد طاب الثمر ، واستحب الظل ، وزين للعرب المقام !... وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعسكر بثنية الوداع ، ويأخذ الناس بالجد ، وهم كثير لم يحص عددهم ، ولم تُسجل أسماؤهم ولا عناوينهم في كتاب ... إنه يدعوهم هذه المرة إلى أمر كبير . . . إلى قتال الروم . . . وقد جاء الخبر أنهم جيّشوا جيشاً هائلاً بالشام ، وقدموا طلائعهم إلى اللقاء وعسكروا بها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُسْلِمُونَ

الاشتراكات

١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ عن ثلاثة أعداد
يضاف إليها أجرة
البريد خارج القطر

صاحب الإصدار

ورئيس التحرير

سمير رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع المنيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون : ٢٤٤٥٥٠

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي

سنتها عشرة أعداد

مارس سنة ١٩٥٤

رجب سنة ١٣٧٣

غزوة بني نضير

من تحقيق كاتبة علوم إسلامية

كان ذلك في غرة رجب
وبعد اثنتين وعشرين سنة قضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الميامين
في بلاء متصل ، ثلاث عشرة منها بين أهل مكة العتاة ، وثمان في المدينة : من غزوة
إلى غزوة ، ومن سرية إلى سرية ، آخرها سرية على بن أبي طالب قبل ليال معدودات ،
خرج فيها على رأس مائة وخمسين من وجوه الأنصار ، ليهدم صنم لطيء عبده من
دون الله ، وشنوا الغارة مع الفجر ، وهدموا الصنم ، وعادوا وأيديهم مملوءة
بالسبي والأنفال .

وكان الناس في حر شديد ، وقد طاب الثمر ، واستنحب الظل ، وزين للعرب
المقام ! وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسك بئنية الوداع ، ويأخذ الناس بالجد ،
وهم كثير لم يحص عددهم ، ولم تُسجل أسماؤهم ولا عناوينهم في كتاب . . . إنه يدعوهم
هذه المرة إلى أمر كبير . . . إلى قتال الروم . . . وقد جاءه الخبر أنهم جيّشوا جيشاً
هائلاً بالشام ، وقدموا لطلأئهم إلى البلقاء وعسكروا بها .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يفزو غزوة إلا ورى بغيرها لثلاث تذهب الأخبار بما يريد ، حتى كانت هذه الغزوة — غزوة تبوك — فجلى للناس أمرهم ليأتوها له أهبتة ، وأخبرهم بالوجه الذى يريد ، وبعث إلى القبائل وإلى مكة يستنفرهم إلى عدوهم ، وحضاً على الجهاد ورغب فيه ، وأمر بالصدقة ، فحملت إليه صدقات كثيرة ، وأول من حمل صدقته أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، جاء بماله كله : أربعة آلاف درهم ، لم يبق لعياله منها درهما ، فقال له الرسول : هل أبقيت شيئاً ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله ! وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله ، فقال له رسول الله : هل أبقيت شيئاً ؟ قال : نعم نصف مالى . وبلغ عمر ما جاء به أبو بكر رضى الله عنه ، فقال : ما استبقنا إلى خير إلا سبقنى إليه ! وحمل العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه تسعين ألفاً ، وجهز عثمان بن عفان رضى الله عنه ثلث ذلك الجيش ، فجاء بألف دينار ففرغها فى حجر النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقلبها ويقول : ماض عثمان ما فعل بعد هذا اليوم . . . قالحا مرارا ! .

وسارع النساء إلى تلبية داعى السماء للبذل فى سبيل الله ، فتسابقن إلى الثوب المبسوط بين يدى النبي ، يلقين فيه المسك والمعاصد والخلال والأسورة وكل ما قدرن عليه ! .

وهكذا تكلم الإيمان بين يدى تبوك ، وكان كلامه هذا المال المبذول ، وهذه الحلى المنشورة ، وهؤلاء الذين نفروا فى الحر الشديد ، مؤثرين وجه الله ومرضاته على الأهل والمال والدعة ! حتى الذين أعفهم الحاجة وكان لهم فيها تكأة — لو أرادوا — أحزنهم أن تفوتهم كرامة الغزو مع رسول الله ، فجاءوه يطلبون أن يهبيء لهم ما يحملهم ، فقال لا أجد ما أحملكم عليه ، فولوا ييكون ، وفيهم نزل قول الله « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه ، تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون » .

وبإزاء هذه الأمثلة الكريمة ، ابتلى ركب النبوة بأمثلة أخرى غير كريمة ، لم يمنعهما نور النبوة أن تحاول العبث فى الظلام ، ولم يغنها جلال الحق عن التردى فى الحمأة المنيئة . . . فإنه ما إن بلغ الناس أذان رسول الله إلى المعركة القاسية حتى

هتكت دعوته أستاراً كانت تستر النفاق والكفر في نفر في معسكر المسلمين ، ونزلت سورة « الفاضحة » تكشف الستر عن ظنوا أنهم لا يزالون بعد كل ما أوجروا في نجوة من العين التي تكشف خبيثتهم ، وجاءت آياتها مدممة^(١) صارمة تدك الأسوار الكاذبة من حول الأنفس الوضيعة والأخلاق المريضة كي تتبدى على حقيقتها في المجتمع الجديد النظيف ، وتلقى جزاءها الحق خزياً في الدنيا وعذاباً في الآخرة ، وتولى رب الدنيا والآخرة إعلان خزيها وعذابها في حادثة لا يزال خبرها بين أيدينا ، ولا تزال آياتها تتلى علينا . . لو أننا قرأنا التاريخ وعقلنا عن الله !! .

جاء قوم يعتذرون عن الخروج ويتعلمون بالمعاذير ، ويقولون : والله لو استطعنا لخرجنا معكم .. فنزل جبريل بقول الله « لو كان عَرَضاً قريباً وسفراً قاصداً لا تبعوك ، ولكن بعدت عليهم الشقة ، وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ، يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لسكاذبون » .

وبدا للرسول صلى الله عليه وسلم أن يأذن لبعضهم في التخلف ، فإذا بعتاب السماء : « عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين . لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، والله عليم بالمتقين . إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون . ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل أقعدوا مع القاعدين . لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يغفونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين . لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون » .

وجاء الجد بن قيس الأنصاري يقول للرسول : ائذن لي ولا تفتني ، فجاء قول الله « ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني . . . ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين » .

وتكلم بعض المنافقين يثبطون الهمم ويشيعون الضعف في معسكر المؤمنين وقالوا : « تحسبون جلاد بنى الأصفر (الروم) كقتال العرب بعضهم لبعض ، والله

(١) الفاضحة والمدممة اسمان من أسماء سورة التوبة ، وهي سورة غزوة تبوك .

لكنّا بكم غدا مقرنين في الجبال ! » فقال رسول الله لعمار بن ياسر : « أدرك القوم فإنهم قد اخترقوا فأسألهم عما قالوا فإن أنكروا فقل بلى قلت كذا وكذا » فذهب إليهم ، فقالوا إنما كنا نخوض ونلعب ، فقال الله : « ولئن سألتهم ليقولنّ إنما كنا نخوض ونلعب ، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم » .

ومن المنافقين من ظن في الرسول ظن السوء ، وخيّل له أنه قادر على مخادعته والتغير به ، ولن يكلفه ذلك إلا أن يحلف له فيصدقفه فهو إذن يصدق كل ما يسمع ، فنزل به رد السماء « ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ، قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ، ورحمة للذين آمنوا منكم ، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم » .

وتخلف المتخلفون عن الغزو وهم قادرون عليه ، وضنوا بأموالهم وأنفسهم أن يبذلوها في سبيل الله ، وزين لهم الهوى والضعف ما هم فيه من ترف ودعة ، فتزلت فضيحتهم من فوق سبع سموات : « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وقالوا لا تنفروا في الحر ، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون » ثم تجردهم من ثقة المجتمع بهم « فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوا : إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين » ثم تبلغ بالشدة مداها في دنيا الناس ، وتجعلهم نكالا ماداموا أحياء ، وتصب عليهم غضب الله ومقته وهم يودعون الأحياء : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره : إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » !! . وغير ذلك كثير يجده المتأمل في سورة التوبة ولا تتسع له هذه الصفحات .

وبين هؤلاء المارقين وأولئك الأبرار طائفة مال بها الضعف ميلة أدركتهم بعدها رحمة الله ، فقد كان وراءها صدق يتردد في صدورهم ، وأنفس كريمة عصرها الألم لما وقعوا فيه ، وما كانوا ليعفوا من العقوبة لولا وحى الله الذي يعلم طوياتهم ، ولم ينزل

العفو عنهم إلا بعد أن ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه . وإنك لتجد نبأهم في كتاب الله : « وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم » .

ويفصل أحد الثلاثة — كعب بن مالك — قصتها فيما يرويه عبد الله بن كعب فيقول : « لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك . غير أنني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يُعَاتَب أحدًا تخلف عنه ، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون غير قريش حتى جمع الله تعالى بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توائمتنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها . وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعددا كثيرا ، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجههم الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله كثير لا يجمعهم كتاب^(١) حافظ (يريد بذلك الديوان) .

قال كعب : فقلّ رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفى عليه ما لم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فأنا إليها أصغر ، فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، وطفقت أجدو لكي أتجهز معه فأرجع ولم أقض شيئا ، وأقول في نفسي أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتبادى بي حتى استمر بالناس الجد ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيئا ؛ ثم غدوت فرجمت ولم أقض شيئا . فلم يزل ذلك يتبادى لي حتى أسرعوا وتفارط النزو ، فهممت أن أرتحل

(١) أي لم يكن للمسلمين في ذلك الوقت سجلات تجمع أسماءهم .

فأدر بهم فيا ليتني فعلت ؛ ثم لم يقدر ذلك لي ، فطفقت إذا خرجت بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله تعالى من الضمفاء ، ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بني سلمة : يا رسول الله حبسه برداء والنظر في عطفه ، فقال له معاذ بن جبل رضي الله عنه : بئس ما قلت ؛ والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبينما هو على ذلك إذ رأى رجلاً مبيضاً يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا خيثمة ! فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون .

فقال كعب : فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلاً من تبوك حضرني بشي^(١) فطفقت أتذكر الكذب وأقول : بم أخرج من سخطه غدا ؟ وأستمعن على ذلك بكل ذي رأي من أهلي . فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلم قادماً زاح^(٢) عني الباطل ، حتى عرفت أنني لم أنج منه بشيء أبداً فأجمعت صدقه .

وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادماً ؛ وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون يمتدرون إليه ويحلفون له — وكانوا بضماً وثمانين رجلاً — فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفروا لهم ووكّل سرائرهم إلى الله تعالى حتى جئت ؛ فلما سلّمت تبسم تبسم المغضب ثم قال : تعال . فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي . ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ قال ، قلت يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ، لقد أعطيت جدلاً ، ولكنني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله يسخطك علي ، وإن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عقيبي الله عز وجل . والله ما كان لي من عذر ؛ والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك .

(١) البث : الحزن .

(٢) زاح : يبد وذهب .

قال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فيك » .

وسار رجال من بنى سلة فاتبعوني فقالوا لى : « والله ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا ؛ لقد عجزت فى أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المخلفون ، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك » قال ، فوالله ما زالوا يؤنبوننى حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسى ، ثم قلت لهم هل لقي هذا معى من أحد ؛ قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك . قال ، قلت من هما ؟ قالوا : مرارة بن ربيعة العمرى وهلال بن أمية الواقفى . قال فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرأ فيهما أسوة حين ذكروهما لى .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فأجتنبتنا الناس (أو قال) تغيروا لنا حتى تغيرت لى فى نفسى الأرض فما هى بالأرض التى أعرف . فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ؛ فأما صاحبى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف فى الأسواق ولا يكلمنى أحد ؛ وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى : هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ؟ ثم أصلى قريباً منه وأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتى نظر إلى ، وإذا التفت نحوه أعرض عنى .

حتى إذا طال على من جفوة المسلمين ، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس إلى ، فسلمت عليه ، فوالله ما رد على السلام ! فقلت له : يا أبا قتادة ، أنشدك الله ، هل تعلمنى أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ؟ فسكت ؛ فمدت فناشدته ، فسكت ؛ فمدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عينائى وتوليت حتى تسورت الجدار .

فبينما أنا أمشى فى سوق المدينة ، إذا نبطى من نبط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له إلى حتى

جاءني فدفع إلى كتاباً من ملك غسان ، وكنت كاتباً فقرأته ، فإذا فيه : أما بعد ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيمة ، فألحق بنا نواسك . فقلت حين قرأتها : وهذه أيضاً من البلاء ، فتيمنت بها التنور فسجرتها !

حتى إذا مضت أربعون من الحسين واستلبث الوحي ، إذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعزل امرأتك . فقلت أطلقها أم ماذا أفعل ؟ فقال : لا بل اعتزلها فلا تقربنها . وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك . فقلت لامرأتي : الحق بأهلك فكوني عندهم حتى يقضى الله من هذا الأمر . فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : لا ولكن لا يقربنك . فقالت : إنه والله ما به من حركة إلى شيء ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه . فقلت : لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وماذا يدريني ماذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب .

فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا . ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى منا قد ضاقت على نفس وضاقت على الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر ! فخررت ساجداً ، وعرفت أنه قد جاء فرج فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله عز وجل علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا ، فذهب قبل صاحبي مبشرون ، وركض إلى رجل فرساً وسمى ساع من أسلم قبلي وأوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس .

فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعته له ثوبتي فكسوتهما إياه يبشراه ، والله ما أملك غيرها يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم يتلقانى الناس فوجاً فوجاً ، يهتئونى بالتوبة ويقولون لى : لتهنك توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس . فقام طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه يهرول حتى صاحبنى وهنأنى ، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره (فكان كعب لا ينساها لطلحة) .

فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور : أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك . فقلت : أأمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : لا بل من عند الله عز وجل . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قر ، وكنا نعرف ذلك منه . فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبنى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك . فقلت : إني أمسك سهمى الذى بخير . وقلت : يا رسول الله ، إن الله تعالى إنما أنجاني بالصدق ، وإن من توبتى أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت ، فوالله ما علمت أحداً من المسلمين أبلاه الله تعالى فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلانى الله تعالى . والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، وإني لأرجو أن يحفظنى الله تعالى فيما بقى ، فأُنزل الله تعالى : « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » .

قال كعب : والله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد إذ هدانى الله للإسلام أعظم فى نفسى من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوا . إن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد ، فقال الله تعالى : « سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم

فأعرضوا عنهم إنهم رجس ، ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم لترضوا عنهم ، فإن رضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين . » .

قال كعب . وليس الذى ذكر مما خلفنا تخلفنا عن الغزو ، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عن حلف له واعتذر إليه فقبل منه .

واشتد الأمر على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجنوده ، وكان عددهم ثلاثين ألفاً واستمر الحر وغاب الماء ، وجهدوا جهداً شديداً ، وذهب أبو بكر إلى الرسول يقترح عليه أن يدعو ربه ، فرفع الرسول يديه وما فى السماء سحاب ، فإن هو إلا قليل حتى استدارت فوق الركب الميمون سحابة مزجاة ، وسحت السماء ماء مدراراً ، فهلل الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : « أشهد أنى رسول الله » وهى كلمات يجد فيها المؤمن صورة أخاذة لنفس النبي فى لحظات من عمره الملىء المبارك !

وحدث والرسول فى الطريق إلى المدينة — بعد أن وصل إلى تبوك ولم يجد أثراً لجيش الروم ، وعلم أن الخبر الذى جاءه تعجل به ناقلوه ، وأنه كان محض ابتلاء من الله تعالى هياً أسبابه — أن جاءه جبريل يأمره أن يبعث لهدم مسجد الضرار ، وهو المسجد الذى أوعز بينائه أبو عامر الراهب الخزرجى ، وكان فى الجاهلية تنصر وقرأ علم أهل الكتاب وله شرف فى قومه . فلما اجتمع الناس على رسول الله المدينة وأظهرهم الله فى بدر فر إلى مكة وظاهر المشركين ، ولم يأل جهداً فى مناوأة المسلمين ، وكان من فعله فى أحد أن حفر الحفائر فيما بين الصفيين فوقع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إحداها . . . ولما رأى أمر الإسلام فى ارتفاع قصد هرقل ملك الروم يستنصره على النبي صلى الله عليه وسلم فوعده ومناه .

وأقام أبو عامر عنده ، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدمهم ويعنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغلبه ويرده عما هو فيه ، وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ، ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك ، فشرعوا فى بناء مسجد مجاور

لمسجد قباء ، فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك . وجاءوا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي إليهم فيصلوا في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته ، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية ، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال : « إنا على سفر ، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله » .

فلما قفل عليه السلام راجعاً إلى المدينة من تبوك ، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم ، نزل عليه جبريل بخبر مسجد الضرار وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم — مسجد قباء — الذي أسس من أول يوم على التقوى :

« والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون . لا تقم فيه أبداً ، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين . أمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ، والله لا يهدي القوم الظالمين . لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم » .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهدمه فهدمه قبل مقدمه المدينة .

هذه يا أخى قصة غزوة تبوك ، أو قطوف من قصتها ، وما أجمل أن تتناول — أنت — كتاب الله لتقرأ حديث الله عنها !!

ميرزا محمد

الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

١ - في العام التاسع من البعث المحمدي مات أبو طالب الذي كان كبير قريش وعظيمها ، ومرجع أمرها ، وكان مع إشرافه يحب رسول الله تعالى ، ويحميه من أذى قريش ؛ حتى إذا اشتدت الشديدة مرة من قريش ؛ وأبو طالب يطالب النبي صلى الله عليه وسلم بالرفق في دعوته ، فيصيح محمد بن عبد الله فيهم « والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما فعلت » فيقول أبو طالب العظيم : « اذهب يا بني فقل ما شئت ، والله لا أسلمك أبدا » وإن قريشاً لتجتمع لتجمل أبا طالب أن يسلم إليهم محمداً لينعوه من دعوته ، على أن يعطوه أنهد فتى في قريش فيقول لهم عظيم مكة : أعطيتكم ولدى تقتلونه وتعطوني ولدكم أغذوه لكم ، والله لا أسلم محمداً أبدا .

مات أبو طالب هذا ، ففقد محمد نصيراً قوياً ، حتى لقد قال صلى الله عليه وسلم : « ما نالتني قريش بشيء أكرهه حتى مات أبو طالب » .

٢ - وبعد موت أبي طالب بأشهر ماتت زوج محمد أم المؤمنين خديجة ، وكان يجد فيها العزاء في وقت الشديدة ، تمده بكل ما اكتنزه قلبها الكبير من حنان الأنوثة ولطف العشرة ، وإلهام الفطرة ، وهي التي رجع إليها يرجف فؤاده في أول نزول الوحي ، فعاضدته وناصرته ، وفاض لسانها بما يبعث فيه الأمل والرجاء ، فقالت له : « إنك تنصر الضعيف ، وتحمل الكل ، وتعين على نوائب الدهر ؛ ولن يضيعك الله أبدا » ثم أخذته ساعتها إلى ابن عمها ورقة وكان على علم بالكتاب ، فقص عليه ما قص ، ولقد قال فيها ابن هشام في سيرة المرسلين : « كانت له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها » ولذا سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السنة « سنة الحزن » فقد فيها من الناس النصير ، والمواسي .

٣ — نالته قريش بالأذى الشديد ، واشتد البلاء ، ولكن لم يفقد محمد الرجاء ، فقد دأب على دعوته ، وإن ضعف أمله في قريش ، وإن رجا النصرة في غيرهم ؛ فذهب إلى الطائف مع غلامه زيد بن حارثة ، فدعا كبراء ثقيف إلى الإسلام ، فردوه أقبح رد ؛ وأغروا به سفهاءهم وصغارهم يقذفونه بالحجارة ، حتى أدموا قدميه صلى الله عليه وسلم ، وشجوا رأس زيد . وكانت هذه الأمور من أشد ما نزل بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فاتجه إلى ربه يدعوه ، ويضرع إليه ، ويبيته نفسه وعزمه ، فيقول : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن تُنزل بي غضبك ، أو تحل عليّ سخطك ، ولك العتبي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

٤ — فقد محمد نصراء الدنيا ، وفقد العزاء ، فكان لا بد من عزاء روحى ؛ لقد كفر به الناس ، وناووه ، واشتد بلاؤهم وطغيانهم ، فموضه ربه بأمرين جليلين ، في عامين متتالين ، أولهما : أن الجن آمنوا به ؛ لقد كفر به الناس ، فعزاه الله بإيمان الجنة الذين لا يراهم الناس ؛ ولذا نزل في السنة العاشرة قوله تعالى : « قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدى إلى الرشد فآمننا به ولن نشرك بربنا أحدا » ... إلى آخر هذه السورة .

كان استماع الجن وإيمانهم في العاشرة ، وكان في السابع والعشرين من رجب في الحادية عشرة الأمر الثانى — الذى كان فيه العزاء والغذاء الروحى وآيات الله الكبرى وهو الإسراء والمعراج ؛ الإسراء الذى نوه الله سبحانه وتعالى بأمره ، فقال تعالى : « سبحانه الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير » والمعراج قد بينه سبحانه وتعالى بقوله تعاليت قدرته : « والنجم إذا هوى ما ضلّ صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحيّ يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ،

وهو بالأنفق الأعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلةً أخرى عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ، مازاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى .

٥ — كان الإسراء والمعراج العزاء الروحي ، في وقت قد اشتدت الشدائد ، وتواتت المكاييد ؛ وكان التأييد من رب العالمين ، وقد ذهب التأييد من الناس .

ولقد كان الإسراء والمعراج في ليلة واحدة ؛ ولقد قيل إن المعراج كان مرتين ، كما قال تعالى : « ولقد رآه نزلةً أخرى عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى » وأن هذه المرة الثانية هي التي صاحبت الإسراء .

والإسراء هو السير ليلاً ، ولقد صرَّح به القرآن الكريم تصريحاً لا يقبل الشك ؛ إذ قال تعالى : « سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » ولقد صدر سبحانه وتعالى الآية بقوله « سبحانه » أى تقدست ذاته العلية ، وتعلت قدرته سبحانه وتعالى فهو القادر على كل شيء ، يستطيع أن ينقل عبده من مكة إلى بيت المقدس ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة واحدة ، وهي عند الناس مسيرة أربعين ليلة ، وأننى تكون قدرة الناس بجوار قدرة خالق الناس . وتنص الصحاح من كتب السنة على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيت في الليلة السابعة والعشرين من رجب بمنزل أم هانئ بنت عمه أبى طالب ، وقد كانت من المؤمنات رضى الله عنها . صلى العشاء ، ثم لما أصبح الصباح أخبرها عليه السلام بمسراه من المسجد الحرام إلى بيت المقدس ، فقالت له يا نبي الله لا تُحدث بهذا الحديث الناس فيكذبوك ويؤذوك ، قال والله : لأحدثنهموه ، فأخبرهم . ويقول بعض الرواة إنه أصبح واجماً : أى ساكناً ، فأخذ يتلطف بإخبارهم أولاً بالإسراء ، ولم يخبرهم بالمعراج الذى كان مقترناً به ، فذهب إلى البيت الحرام فالتقى به أبو جهل ، فقال له — مستهزئاً — هل من خبر ؟ فقال عليه السلام نعم ، فقال وما هو ؟ فقال : إني أسرى بى الليلة إلى بيت المقدس ؛ قال إلى بيت المقدس ؟ ! ! فأراد أبو جهل جمع قريش ليسمعوا منه ذلك ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم ليخبرهم بذلك

ويبلغهم ، فقال أبو جهل : هياً معشر قريش وقد اجتمعوا من أنديتهم ، فقال أخبر قومك بما أخبرتنى به ، فقص عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، وأنه جاء بيت المقدس هذه الليلة ، وصلى فيه ، فمن بين مصفق ، ومصفر تكذيباً له ، واستبعاداً لخبره ، وطار الخبر بمكة ، وجاء الناس إلى أبي بكر رضى الله عنه فأخبروه أن محمداً يقول كذا وكذا ، فقال إنكم تكذبون عليه ، فقالوا والله إنه ليقوله ، فقال رضى الله عنه : إن كان قاله لقد صدق ، ثم جاء إلى رسول الله وحوله مشركو قريش ، فسأله عن ذلك فأخبره ، فاستعلمه عن صفات بيت المقدس ليسمع المشركون ويعلموا صدقه فيما أخبرهم به ، فقالوا أما الصفات فقد أصاب^(١) .

ولقد ذكر لهم من الأمارات التي تدل على صدقه ؛ فقد سألوهم عن غيرهم ، فقالوا أخبرنا عن غيرنا فأخبرهم بمدد جمالها ، وأحوالها ، وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس ، يقدمها جبل أورق ، فخرجوا يشهدون ذلك اليوم نحو الثانية ، فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد أشرقت ، فقال آخر ، وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جبل أورق .

٦ — هذه قصة الإسراء في إيجاز ، وهي تتضمن أمرين — أولهما : قدرة الله سبحانه وتعالى القاهرة التي لا يحدها زمان ، ولا مكان ؛ فهي تقطع المسافات مهما طالت في زمن محدود ، فهي فوق الزمن وفوق ما يحده الزمن ؛ ولذا قال سبحانه وتعالى « لنريه من آياتنا الكبرى » .

الأمر الثانى : إقامة الحجة القاطعة على المشركين من أنهم ليسوا طلاب حق ، ولا متبعين للحق ؛ ذلك لأنهم كثيراً ما كانوا يطلبون معجزة غير القرآن الكريم ، « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ، أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ، قل سبحان ربي ، هل كنت إلا بشراً رسولا » .

طلبوا هذه المعجزات الحسية في مجادلاتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذه آية حسية قدمها النبي لهم في الإسراء : ذهب من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة واحدة ، وأقام لهم الدليل المادى على مسراه ، فهل آمنوا ؟ إنهم لم يؤمنوا ، بل أكثر من هذا أن بعض ضعاف الإيمان قد ارتدوا ، وزاد الله أقوياء الإيمان إيماناً حتى إن أبا بكر الذى لو وزن إيمان هذه الأمة بإيمانه لرجحها يقول وقد سئل أتصدقه في خبر الإسراء ؟ فقال : « إني لأصدقه على أبعد من ذلك » .

إن طالب الحق يجد في نور القرآن ما يهديه ، وفي آياته المعجزة الكبرى ، فهؤلاء لأنهم يجحدون بالآيات وقد استيقنتها أنفسهم يمارون ويمجادلون ، ولو نزل عليه كتاب في قرطاس فمسوه بأيديهم لقالوا هذا سحر مبين . وحديث الإسراء أدل شئ على ذلك .

٧ - وإن الإسراء كما تدل الآية الكريمة ، وكما تدل الأحاديث الصحيحة كان بجسم النبي صلى الله عليه وسلم وروحه ، ولقد روى أن حذيفة بن اليمان ، وعائشة رضى الله عنها ، ومعاوية بن أبى سفيان ، كانوا يرون أن الإسراء كان بالروح فقط ؛ ولكن الحق ما عليه العلماء أجمعون ، وذلك لأمر ثلاثة .

أولها : أن صريح القرآن هو ذلك ؛ إذ قال : « أسرى بعبد ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » والعبد روح وجسد ، وليس روحاً فقط ، ولو كان القصد الروح لصرح بذلك ، وما كان ربك نسيا .

وثانيها : أن الله سبحانه وتعالى صدر الآية الكريمة بقوله تعالى — سبحانه — الدالة على كمال التقديس وكما القدرة ، فكان ذلك دليلاً على أن ما بعدها يتصل بقدرة العلى الحكيم ، وهى فى إسرائ الجسم ؛ لا إسرائ الروح ، بل إن انتقال الروح انتقال معنوى لا يسمى إسرائ ، ولا يصح أن يحمل فقط على غير معناه ، إلا بنص من الشارع ، أو دليل من العقل قاطع .

وثالثها : أن الإسراء لو كان سبحة روحية ما كان فيه غرابة تستدعى إنكار من ينكر ، بل لا تستدعى أن يجمع أبو جهل قريشا ، ليتخذ من القصة سبيلاً للكيد

وحمل الناس على المبالغة في التكذيب والإنكار ، بل ما كان ثمة غرابة تجعل ضعيف الإيمان يرتد .

وما كانت في عبارات النبي صلى الله عليه وسلم التي خاطب بها قريشا ، ما يدل على أن الأمر أمر روح ، وليست انتقالا حسيا .

٩ — هذا ما يقال في الإسراء ، وإن أكثر الرواة على أن المعراج قد اقترن بالإسراء ، واقترن بالمعراج فرض الصلوات الخمس ؛ وعلى ذلك يكون المعراج قد تم أيضا في تلك الليلة المباركة ليلة السابع والعشرين من رجب ، وإنه كما قررنا ثبت المعراج بأول سورة النجم الذي تلوناه ، ففي هذا الجزء من السورة أن الله سبحانه وتعالى تجلى لنبيه وعلمه ، فقد قال تعالى : « علمه شديد القوى ، ذومرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى » فهذه الآيات الكريمات تدل أولا على أنه سبحانه وتعالى تجلى على نبيه ، وعلمه وأوحى إليه بالصلاة وهي ركن الدين ولبه ، وأنه صلى الله عليه وسلم في هذا التجلى رأى ربه بعين بصيرته ، وبفؤاده ، ولذا قال سبحانه وتعالى : « ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتخارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى » .

١٠ — وهذه الآيات قد ساقها كثيرون من العلماء على أنها تدل على معراج النبي صلى الله عليه وسلم من الأرض إلى السموات العلا ، حيث تجلى عليه رب البرية ، كما تجلى للجبل عند ما طلب موسى ؛ وما كان لله مكان ، إنما كان تجليه لنبيه في هذا المكان ، وذلك على أن قوله تعالى « علمه شديد القوى ذومرة فاستوى » حديث عن الذات العلية وهو الظاهر ، وقال بعض من المفسرين إنه جبريل ؛ فالحديث كله عن جبريل ، والظاهر بلا شك هو الأول ، وقد ساق علماء الحديث ، حديث المعراج على طرائق شتى ؛ لبابها ما رواه مسلم في صحيحه ، والإمام أحمد في المسند ، وهذا نصه : « أتيت بالبراق ، وهو دابة فوق الحمارو دون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، فركبته ، فسار بي ، حتى أتيت بيت المقدس ، فربطت الدابة بالحلقة التي يربط

بها الأنبياء ، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت ، فأتاني جبريل بإناء من خمر ، وإناء من لبن فاخترت اللبن ، فقال جبريل أصبت الفطرة ، قال ثم عرج بي إلى السماء الدنيا ، فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه ، ففتح لنا فإذا بآدم فرحب ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل ، فقيل له من أنت ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه ، ففتح فإذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى ، فرحبا بي ، ودعوا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام ، وإذا هو وأعطى شطر الحسن ، فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ قال جبريل ، فقيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد بعث إليه فإذا أنا بإدريس ، فرحب لي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة ، فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، فقيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد بعث إليه فإذا أنا بهارون ، فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ، فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، فقيل وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ففتح لنا ، فإذا أنا بموسى عليه السلام ، فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، فقيل أو قد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام ، وإذا هو مستند إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم لا يعمدون إليه ، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى ، فإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال ، فلما غشيها من آخر ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها ، فأوحى الله إليَّ ما أوحى ، وقد فرض الله عليَّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة ، ففرلت حتى انتهيت إلى موسى قال ما فرض ربك عليَّ أمتك ، قلت خمسين في كل يوم وليلة ، قال فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، وإني قد

بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم ، قال فرجعت إلى ربي فقلت أى ربي خفف عن أمتي لحظ خمسا فنزلت حتى انتهيت إلى موسى قال ما فعلت ؟ فقلت حط عني خمسا ، فقال إن أمتك لا تطيق ذلك ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فلم أزل أراجع بين ربي وموسى ، ويحط عني خمسا خمسا ، حتى قال يا محمد : هن خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة ، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت عشرا ، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة .

١١ — هذا حديث المعراج ، وقد ذكر فيه الإسراء ، وقد قررنا من قبل أن الإسراء كان بالروح والجسد ، فهل المعراج كان كذلك ؟ لقد قرر كثيرون من العلماء أن المعراج كذلك بالروح والجسد ، ولقد أثبت حول ذلك مشا كل ، أولاها :

أن الله سبحانه وتعالى بمقتضى الحديث تجلى على نبيه في السماء السابعة ، فهل هذا مكان الله تعالى ؟ والجواب عن ذلك أن الله تعالى ليس له مكان ، لأن ذلك من خواص الأجسام ، والله سبحانه وتعالى قد تجلى على نبيه في ذلك المكان ؛ فالمكان كان ليسمو النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكان القدسية ، فيكون في حال يستطيع أن يتجلى له رب البرية ، فالمكان بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم لا بالنسبة للعالمى الأعلى .

والثانية : أن النبي رأى ربه ، والرؤية تقتضى أن يكون المرئى في مكان ما دامت الرؤية بالعين المبصرة . والجواب عن ذلك أن النبي رأى ربه بقلبه لا ببصره ، ويؤيد ذلك أنه عليه السلام قال رأيت ربي بفؤادى مرتين ، وقد قال تعالى : « ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى » ، فالرؤية للفؤاد ، ولقد سأل أبو ذؤ الغفارى النبي صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ، فقال « رأيت نورا » وروى أنه قال « نور أنى أراه » .

ومن العلماء من يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى ربه في المعراج ، إنما رأى جبريل ، وقد ذكرنا أن صريح سورة النجم يناقض ذلك ، ولذلك نحن نختار أن الرؤية كانت بالقلب والفؤاد .

الثالثة : أن من الأنبياء الذين ذكروا في السموات الملا ، كوسى وهرون وإبراهيم دفنوا في الأرض ، فكيف يكونون في السماء ؟ ويجب أن يكون ذلك بأن الذي في السموات الملا أرواحهم ، وأرواحهم هم كاملون .

١٢ — هذا هو رأى الأول ، وهو أن المعراج كان بالجسد والروح ؛ ويرى فريق كبير من العلماء أن المعراج كان بالروح ؛ فإن سورة النجم تومى بهذه المعاني الروحية ، فهو قد رأى ربه بفؤاده كما ورد النص ، وهو أدرك ربه نورا أشرق في نفسه ، كما قال عليه السلام «إنه نور» وهكذا يكون كل ذلك بالسبح الروحى ، لا بشئ آخر ، وإن البخارى ، وهو أصح كتب الحديث ، صرح بأن المعراج كان بالروح ، فقد صدر الحديث بقوله : سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسرى برسول صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه ، وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو ؟ فقال أوسطهم هو خيرهم ، فقال آخرهم خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة ، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ، ولا ينم قلبه ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ، ولا تنام قلوبهم ، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه عنهم جبريل ... ثم ذكر أنه عرج به إلى السماء الدنيا فضرب بابا ... إلى آخره .

فدل هذا على أن المعراج كان بالروح ، ويظهر من سياق الأحاديث أن المعراج كان مرتين أحدهما وهو بمكة ، والثانية وهي الأخيرة كانت مقترنة بالإسراء ، وكانت من بيت المقدس منزل النبيين ، وفيه كان ذلك التجلى الروحى ، وذلك المشهد النورانى ، وإن الله على كل شئ قدير .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من تكبرَّ وضعه الله ، ومن تواضع رفعه الله » .

« رواه الخطيب عن عمر بإسناد صحيح »

فِي ظِلِّ لَالِ الْقُرْآنِ

لِلْأَسْتَاذِ سَيِّدِ قُطْبِ

(٢)

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، بَأْسُهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * مَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ ، تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى ، إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ ، وَيَغْفِرَ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَإِنْ يَرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يَهَاجِرُوا ، وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِهِمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ ، إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفُسَادٌ كَبِيرٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ ، وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

هذه الأمة التي ألف الله بين قلوبها وجمعها على قلب رجل واحد ، بعد الفرقة والعداوة والشتات ، وحقق فيها معجزة وقوع المستحيل في عرف الواقع والناس ... يوحى الله إلى رسوله أنها حسبته ففيها الكفاية لتحقيق رسالته ؛ وبأمره بأن يحرضها على القتال لتحقيق كلمته في الأرض ، ولإزالة القوى الطاغية الباغية التي تقف في الطريق :

« يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين . يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا ، ذلك بأنهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ، والله مع الصابرين ... » .

ويقف الفكر ليستعرض القوة التي لا راد لها ولا معقب عليها — قوة الله — ومنها قوة المتعلقين بالله . وأمامها تلك القوة الضئيلة العاجزة الهزيلة التي تتصدى لكتائب الإيمان بقيادة الرسول — فإذا الفرق شاسع والبون بعيد . وإذا هي معركة مضمونة العاقبة معروفة النهاية ، لا يشك فيها عقل ، ولا يرتاب فيها قلب . بل لا مجال فيها للأخذ والرد : « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ... » .

ومن ثم يأتي الأمر بتجريض المؤمنين على القتال — في سبيل الله — وقد تهيأت كل نفس ، واستعد كل قلب ، وشحن كل عصب ، وتحفز كل إحساس : « يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال ... » . حرّضهم وهم لعدوهم أكفاء ، وإن قل عددهم وكثر أعداؤهم : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا » ... فأما تعليل هذا التفاوت فهو تعليل عجيب : « ذلك بأنهم قوم لا يفقهون » . فما صلة الفقه بالغلب في ظاهر الأمر ؟ ولكنها صلة قوية وصلة حقيقية . إن الفئة المؤمنة إنما تمتاز بالبصيرة ، وتمتاز بالفقه ، وتمتاز بتفتح القلب للهدى ، وتفتح العقل للتدبر ، فأما القلوب المغلقة والبصائر المطموسة ، فهي كليلة عاجزة مهما تكن قوتها المادية متفوقة ظاهرة ، إنها قوة

معزولة عن النبع الخالد والأصل الكبير . . وفهم المسلمون من هذه الآية أنه إن كان منهم واحد فإنه لا يجوز له أن يفر من عشرة . . وتعاظم هذا واشتد عليهم . تخفف الله عنهم ، وقال لهم : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ... » . فهي القوة المضاعفة حتى مع افتراض الضعف . قوة رجل لرجل ، وقوة القلب الذي يعمره الإيمان ، والذي يجاهد الله ، والذي يستشعر صلته بالقوة الكبرى ، والذي لا يخشى أن يموت ، لأنها الشهادة في سبيل الله ، ولأنها الحياة الحقة عند الله : « والله مع الصابرين » الذين يثبتون للشدة ، ويصبرون على المشقة ، ويشقون بالنصر حتى يتحقق وعد الله .

ومن التحريض على القتال إلى بيان حكم الأسرى — أسرى بدر — بمناسبة تصرف الرسول — صلى الله عليه وسلم — والمسلمين فيهم : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم . فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً ، واتقوا الله إن الله غفور رحيم » .

روى الإمام أحمد بإسناده — عن عمر رضى الله عنه — قال من حديث طويل عن يوم بدر : « . . . فلما كان يومئذ التقوا ، فهزم الله المشركين ، فقتل منهم سبعون رجلاً ، وأسر منهم سبعون رجلاً ، واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعلياً ، فقال أبو بكر : يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ، وإني أرى أن نأخذ منهم الفدية ، فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار ، وعسى أن يهديهم الله فيكوثوا لنا عضداً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ . قال : قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكنى أرى أن تتمكن من فلان — قريب لعمر — فأضرب عنقه ، وتتمكن علياً من عقيل^(١) فيضرب عنقه ، وتتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا

هوادة للمشركين ، هؤلاء صناديدهم وأمتهم وقادتهم . . . فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت ؛ وأخذ منهم الفداء . فلما كان من الغد قال عمر : ففدوت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبى بكر وهما يبكيان فقلت ما يبكيك أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تبا كيت لبكائكما . قال النبي - صلى الله عليه وسلم - « للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء ، لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة - شجرة قريية من النبي صلى الله عليه وسلم - وأنزل الله عز وجل : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض - إلى قوله : فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً » فأحل لهم الغنائم . فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء ، فقتل منهم سبعون ، وفر أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وكسرت رباعيته^(١) ، وهشمت البيضة على رأسه ، وسال الدم على وجهه . . . الخ » .

لقد كانت غزوة بدر هي المعركة الأولى بين المسلمين والمشركين . وكان المسلمون قلة والمشركون كثرة . وكان نقص عدد المحاربين من المشركين بالقتل أو بالأسر كسباً ضخماً في هذه الحالة لا يمدله مال . وكان هنالك معنى آخر يراد تقريره في النفوس وتثبيته في العقول . ذلك هو المعنى الكبير الذي أشار إليه عمر رضى الله عنه - في صرامة ونصاعة : « حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هوادة للمشركين » . لهذين السببين الكبيرين نحسب أن الله كره للمسلمين أن يفادوا أسارى بدر ، وأن يؤثر الفدية على الإمساك بهؤلاء الأسرى . فإما آمنوا فيزداد بهم عدد الفئة القليلة المؤمنة ، وإما أصرروا على الكفر فهم في أسر المسلمين قوة معطلة من كثرة المشركين .

ولهذه الظروف يشير النص إلى الإثخان في الأرض : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض » أى حتى يقاتل طويلاً ، فيقتل ويجرح من أعدائه المحاربين . ذلك حتى تقوى شوكة الدين ويستقر وجوده وتعلو كلمته . ولا يؤذيه أن يقبل الفدية من الأسرى ويطلقهم سالمين .

(١) إحدى الأسنان الأمامية .

ولذلك عرض القرآن بالمسلمين الذين قبلوا الفداء في أسرى المعركة الأولى :
« تريدون عرض الدنيا » فقبلتم المال وأطلقتم الأسارى « والله يريد الآخرة » ويوجهكم
إليها ، لتكون هدفكم الوحيد ، فتعملوا لها وحدها ، بإعلاء كلمة الله ونشيت دينه
في الأرض ، وإضعاف أعدائه الذين يصدون عن سبيله بتقليل عددهم بالأسر والتقتيل
« والله عزيز حكيم » قدر لكم النصر وقدر لكم المغفرة ، ومن ثم عفا عنكم فيما
مضيتم فيه في أسرى بدر وأعفاكم من عذابه جزاء على السير في هذا الطريق : « لولا
كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم فيه عذاب عظيم » ثم زادكم الله من فضله فأحل
لكم الغنائم ، وكانت محرمة في الديانات قبل الإسلام « فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً »
ولكن مع استشمار التقوى ومع رقابة الله « واتقوا الله ، إن الله غفور رحيم »
يفغر للمتقين ، ويرحم المخطئين ما اتصلت قلوبهم بالله بهذا الوجدان الحساس الكفيل
برد القلوب إلى الله ، وباستقامتها على الطريق .

ثم يلمس قلوب الأسرى لمسة تحيي فيها الرجاء ، وتطلق فيها الأمل ، وتشيع فيها
النور ، وتعلقها بمستقبل خير من الماضي ، وبحياة أكرم مما كانوا فيه ، وبكسب يرجح
ما فقدوا من مال وديار ، وبعد ذلك كله بالمغفرة والرحمة من الله : « يا أيها النبي قل
لمن في أيديكم من الأسرى ، إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ،
ويغفر لكم والله غفور رحيم » .

هذا الخير كله معلق بأن تصالح قلوبهم ، فيعلم الله أن فيها خيراً ، وأن فيها
خصباً ، وأن فيها نداوة ، وأن فيها استعداداً لحضانة البذرة الطيبة ، والغرسة الكريمة
بذرة الحق ، وغرسة الإيمان^(١) . ذلك أن الإسلام حين يستبقى الأسرى لديه ، فإنما

(١) عن الزهري عن جماعة سمعوا قال : بعث قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في
فداء أسراهم ، ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا ، وقال العباس : يا رسول الله قد كنت مسلماً ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أعلم بإسلامك ، فإن يكن كما تقول فإن الله يجزيك ،
وأما ظاهره فقد كان علينا ، فافتد نفسك وابني أخيك نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل
ابن أبي طالب بن عبد الله ، وحليفك عتبة بن عمرو أخى بني الحارث بن فهر . قال : ما ذاك
عندي يا رسول الله . قال : « فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل ؟ قلت لها : إن أصبت في
سفري هذا فهذا المال الذي دفنت لبني الفضل وعبد الله وقثم » قال : والله يا رسول الله لاني لأعلم
أنك رسول الله . إن هذا شيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل ، فاحسب لي يا رسول الله =

يستبقهم ليلس في قلوبهم مكان الخير والرجاء والصلاح ؛ وليستردهم إلى الهدى الذى تنكبوه . لا يستندلهم انتقاماً ، ولا ليسخرهم استغلالاً . فأما استرقاق الأسرى فقد كان معاملة بالمثل ، لأن استرقاق الأسرى إذ ذاك كان نظاماً عالمياً^(١) . ومع ذلك فإن رأى الإمام أبى حنيفة أن لا رق للأسرى على الإطلاق .

وفى الوقت الذى يفتح الله للأسارى نافذة الرجاء المشرق الرحيم يحذرهم خيانة الرسول — صلى الله عليه وسلم — كما خانوا الله من قبل فلاقوا هذا المصير :

« وإن يردوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم ، والله عليم حكيم » . خانوا الله فأشركوا به وقد أخذ عليهم ميثاق الفطرة بالتوحيد . فإذا شاءوا خيانة رسوله وهم أسرى فى يديه ، فليذكروا عاقبة الخيانة الأولى ! والله عليم بسرائرهم ، حكيم فى إيقاع العقاب بهم « والله عليم حكيم » .

ثم تختتم السورة ببيان طبيعة العلاقات بين المؤمنين والمشركين . . إنها ليست علاقات الدم ، ولا علاقات الأرض ، ولا علاقات الجنس . ليست هى القرابة ، وليست هى الوطن ، وليست هى القومية . . إنما هى علاقة العقيدة ، والعقيدة وحدها . فالذين آمنوا وهاجروا إلى المؤمنين متجردين من كل ما يمسكهم بأرضهم وديارهم وقومهم ، والذين آوهم ونصروهم واحتضنوا عقيدتهم .. أولئك بعضهم أولياء بعض . والذين آمنوا ولم يهاجروا ليس بينهم وبين المؤمنين ولاية ، لأنهم لم يتجردوا بعد للعقيدة . والذين كفروا بعضهم أولياء بعض . . وهذه هى الخطوط الرئيسية فى العلاقات والارتباطات . ذلك لتقوم العلاقات والارتباطات على أساس صحيح وإلا وقعت الفوضى وعم الفساد . باختلاط القيم التى تقوم بها أواصر الحياة .

== ما أصبتم منى — عشرين أوقية من مال كان معى — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا . ذك شئ أعطانا الله تعالى منك » فقدى نفسه وابنى أخويه وحليفه ، فأرسل الله عز وجل : « يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم ، والله غفور رحيم » . قال العباس : فأعطانى الله مكان العشرين الأوقية فى الإسلام عشرين عبداً كلهم فى يده مال يضرب به ، مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل .

(١) فصلنا ذلك فى الجزء الثانى من الظلال .

« إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض . والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا . وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر - إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق - والله بما تعملون بصير . والذين كفروا بعضهم أولياء بعض - إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير . والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ، والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم مغفرة ورزق كريم . والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ، وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله . إن الله بكل شيء عليم » .

والولاية كانت في أول الأمر ولاية توارث وتكافل في الديار . فالأخوة التي عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار قامت مقام الأخوة الحقيقية في الميراث وغيره . حتى انتهت الفترة الحرجية في حياة المسلمين ، فعادت مسائل الإرث والدية إلى قرابة الدم ، وبقيت ولاية التكافل العام بين الجماعة الإسلامية كافة .

فأما الهجرة التي يشير إليها النص ، ويجعلها شرطاً لتلك الولاية فهي الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام لمن استطاع الهجرة ولم يمنع عنها . فأما الذين يملكون الهجرة ولا يهاجرون استمساكاً بمصالح أو قرابات أو صلات مع المشركين ؛ فهؤلاء لا تجب على المسلمين ولايتهم - كما كان الشأن في جماعة من الأعراب أسلموا ولم يهاجروا لمثل هذه الملابسات .

وأمثال هؤلاء يجب على المسلمين نصرهم إن استنصروا في الدين - على شرط أن لا يخل المسلمون في هذه النصره بعهد مضروب بينهم وبين قوم آخرين . وهي قمة في الاحتفاظ بالعهود تتطلع إليها البشرية ولا تفالها حتى اللحظة الحاضرة .

لقد سبق الإسلام جميع الاتجاهات والتيارات التي تجمع الناس تحت راية عقيدة ، وتجعل الرابطة الأولى بينهم هي العقيدة ، والنظام القائم على هذه العقيدة . فليس الذي يربط بين الناس هو قرابة الدم في الأسرة - إذا اختلفت العقيدة - وليست هي الأرض التي تضمهم - إذا اختلفت العقيدة - وليس هو الجنس الذي ينحدرون منه - إذا اختلفت العقيدة - وإنما هي عقدة القلوب المتصلة بعقيدة واحدة ، وعقدة النظام المستمد من تلك العقيدة .

وبعد أربعة عشر قرناً من نزول القرآن تحاول البشرية أن تقيم تكتلاتها على أساس فكرة وعلى أساس نظام . بدلاً من العنصرية التي ذقت الأمرين من جرائها ، وبديل القوميات التي عانت من ويلاتها . ولكن البشرية التي لم تهتد بالإسلام تقيم هذه التكتلات على أساس أفكار أرضية ونظم وضعية ، فتفشل في تصفية روح البشر وإعلائها ، وتوجيهها إلى آفاق وضيئة ، لا تصطدم فيها المصالح والطبقات والتيارات .

لقد حطم الإسلام كل الاعتبارات التي تقوم حاجزاً بين بعض البشر وبعض ، ليقوم حاجزاً واحداً في مفرق الطريق . . أو ليقوم علامة واحدة في مفرق الطريق . . فإما طريق إلى الله ، وإما طريق إلى الشيطان . فمن كانوا مع الله متجردين من كل اعتبار آخر فهم أولياء بعضهم لبعض . ومن كانوا مع الشيطان فهم أولياء بعضهم لبعض . ومن آمن بالله ، ولكنه لم يتجرد من الأواصر الأخرى التي تشده وتحتجزه فليس بينه وبين الجماعة الإسلامية ولاية . إنما هو مسلم ينصره المسلمون حين يستنصر بهم في الدين إلا على قوم بينهم وبين الجماعة الإسلامية عهد ، فالإسلام يصون عهوده حتى ينبذها على سواء — ولكن المسلمين لا يحتملون تبعه ولايته فيما عدا الاستنصار بالدين ، ما لم يهاجر إليهم ، ويتجرد من كل أصرة سوى أصرة العقيدة التي تجمعهم .

لقد كان الإسلام سابقاً بنظامه ، وسابقاً باتجاهاته — وما يزال — وإن البشرية لتطلع في الطريق لتتابع خطواته . ولكنها لا تبلغ ، لأنها لا تسير على النهج ، ولا تبدأ من حيث بدأ ، ولا ترتفع إلى حيث ارتفع . صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ؟ .

قال رجل لعمر بن عبيد : إني لأرحمك مما يقول الناس . قال : أفقسمني أقول فيهم شيئاً ؟ قال لا . قال : إياهم فارحم .

من القرآن :.. أسس الحياة القوية المجيدة :

الانحراف عن العقيدة

الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

حين نتحدث عن العقيدة وأنها ملاك الأمر كله ، وأن بها نجاح صاحبها فيما يحاوله ويبتغيه ، وأن فسادها أو الانحراف عنها ليس له من نتيجة طبيعية ومنطقية إلا الفشل وسوء المصير وعدم نجاح الدعوة التي تقوم عليها — نقول حين نتحدث عن هذا وذاك ، لا نريد عقيدة بعينها ، بل نريد العقيدة على اختلاف ضروبها وأنواعها .

نريد بذلك العقيدة باعتبارها معتقداً نفسياً نطمئن إليه النفس ويمتلئ به القلب . أى سواء أكانت عقيدة دينية مصدرها الوحي ، أم عقيدة سياسية أو اجتماعية ، وسواء فى ذلك عقيدة الفرد ، أو عقيدة الجماعة من الناس الذين يجمعهم حزب من الأحزاب مثلاً ، أو عقيدة أمة من الأمم .

وهذه العقيدة لا بد منها للإنسان ، فى الدين أو الاجتماع أو السياسة ، لأن الاعتقاد فى شيء ما حاجة من حاجات النفس لا بد من تلبيتها . وهى بعد ذلك قوة دافعة إلى الأمام ، لا يقف شيء أمامها متى كانت صادقة خالصة ، لا يشوبها شيء من النفاق أو الانحراف .

وبها ، كان ما عرفنا وعرف التاريخ من حوادث التضحية والاستشهاد فى سبيل ما يمتقده المرء حقاً ، وبها كانت التضحية أمراً عذباً تُقبِل عليها النفس فى فرح واستبشار ؛ وتاريخ الدعاة والمصلحين ، من من المسلمين وغير المسلمين ، شاهد صدق على ما نقول .

وإذا كانت العقائد التى تهيم على القلوب ، ويكون لها هذا السلطان على النفوس كما قلنا ، ضروباً وأشكالا متعددة ، فإن أعلاها — بلا ريب — العقيدة الدينية فى الله

الواحد الأحد الفرد الصمد ، في الله الذي وعد عباده المؤمنين به حق الإيمان إحدى الحسينين : عز الدنيا ، أو سعادة ، الآخرة ، أوهما معاً .

فهذه العقيدة أذلت القلة المؤمنة الكثيرة الكافرة ، وبهذه العقيدة فتح الله للمسلمين المؤمنين الصادقين بلاد كسرى وقيصر ، وبهذه العقيدة كان المؤمن يسمى للموت والاستشهاد في سبيل الله ورسوله فرحاً مستبشراً بما وعده الله وبما سيلقاه إن انتصر أو لحق بالرفيق الأعلى .

وبهذه العقيدة ، كان أولئك المؤمنون الصادقون في إيمانهم « فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . ولا عجب ! فهم « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فاتقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

ولا تكمل هذه العقيدة الدينية في الإنسان إلا إذا كان الله ورسوله أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإلا إذا أسلم وجهه لله وهو محسن ؛ فهو يؤثرت طاعته في كل حال : في المنشط والمكروه ، وهو يؤمن أنه بالله يستطيع كل شيء وبغيره لا يقدر على شيء ، وهو يعمل على أن يستخرج كل حظوظ الشيطان من نفسه وقلبه حتى يكون نقياً خالصاً لله وحده .

وإذا كان هذا هو خصائص العقيدة الدينية وما تتميز به عن العقائد الأخرى ، فإن الانحراف عنها له درجاته ، وهذه الدرجات قد يكون من أدناها أن يعتمد المؤمن على حوله وقوته متناسياً في بعض الأحوال أنه ليس بشيء بدون حول الله وقوته ، كما قد يكون أكبر درجات هذا الانحراف أن يسوء ظنه بالله ، وأن يبقى قلبه مليئاً بما يوسوسه الشيطان له ، ومن ثم قد يصل به هذا الحال إلى النفاق ، ونعوذ بالله من النفاق ووباله !

وقد نستطيع أن نضرب كثيراً من الأمثال ، التي فيها معتبر ومزدجر لمن يريد الخير لنفسه ودينه وأمته ووطنه ، التي يجرها على القوم هذا النفاق الذي مآتاه فساد العقيدة في الله ، بما كان من المنافقين في عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ؛ هؤلاء

المنافقون الذين يقولون آمنا وما هم بمؤمنين ، والذين أخلفوا الله ما وعدوه ، والذين لا تزال نرى لهم تحت السمع والبصر في هذا الزمان خلقاً سيئاً !

ولكننا نعرض عن هذه الأمثال ، فالقرآن مليء بها ، وهي على جبل الذراع لمن يريد . ولكن نحب أن نشير إلى « حالة نفسية » كانت لبعض المسلمين في غزوة « حنين » فكان لها أثرها الخطير في هذا اليوم ، وهذه الحالة خاصة بمبلغ العقيدة في الله وحده ، وأنه — لا غير — الضار النافع الذي يؤتى نصره من يشاء .

لقد نصر الله تعالى المؤمنين في مواطن كثيرة ، نصرهم في يوم بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة ، وقد كانوا في هذه الأيام قلة مؤمنة تقابل بكثرة مشركة ، فكانوا لا يعتمدون إلا على الله وحده ويلتمسون منه النصر الذي يؤتيه من يشاء وييسر أسبابه ووسائله .

ولكنهم يوم « حنين » بخاصة كانوا كثيرين ، إذ بلغ عددهم اثني عشر ألفاً من المهاجرين والأنصار والطلقاء الذين من عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد فتح « مكة » ، على حين كان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف ومن حالفهم في هذا اليوم من سائر العرب . فلما التقى الإسلام بجنده بالشرك وحزبه ، قال سلمة بن سلامة الأنصاري . « لن تغلب اليوم من قلة » ، فساءت هذه الكلمة الرسول صلوات الله وسلامه عليه . ومع هذا فلم يخلهم الله من عونه وتأييده ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهمزم المشركون وولوا الأدبار وخلوا الذراري .

وهنا ، حصلت « حالة نفسية » أخرى ، تلاها أثرها العملي الخطير ، إذ جنح بعض المسلمين إلى الغنائم يجمعونها من هنا وهناك ، ونسوا أن النصر الحاسم لم يستتب بعد ، وأن الغاية من القتال ليست حوز الغنائم ومتاع هذه الحياة الدنيا . وحينئذ تذامر المشركون ، ونادى بعضهم بعضاً « يا حماة السوء أذكروا الفضائح » : وكان أن ارتد المشركون للقتال فأنكشف المسلمون ، وظهر لهم يقيناً أن كثرتهم لم تغن عنهم شيئاً ، ولكن بعد أن انهزموا نتيجة لهذين الأمرين : ثقتهم بأنفسهم وبكثرتهم ، وانكباب بعضهم على الغنائم يحوزونها ولم تضع الحرب أوزارها .

وفي هذا ، يقول الله تعالى في سورة التوبة : « لقد نصركم الله في مواطن كثيرة

ويوم حنين ، إذ أنجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضائق عليكم بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين ، وأنزل جنوداً لم تروها ، وعذب الذين كفروا . . . » الآية .

ونعوذ بالله أن نظن بأحد من المسلمين شيئا من سوء ، بله انحرافا أى انحراف عن العقيدة ! وإنما هي إشارات إلى درس بليغ حكيم تلقاه المسلمون في ذلك اليوم (يوم حنين) حين أعجب بعضهم بما هم عليه من كثرة في العدد والعدة ، بالنسبة لأعدائهم من المشركين ، وحين سارع بعضهم إلى الغنائم يحوزونها ولم تضع المعركة بعد أوزارها .

وإنما هي إشارات أيضا ، إلى ما ذكره الله العزيز الحكيم به من نصرهم في مواطن ومعارك أخرى كثيرة ، وكانت وقعة « بدر » رأس هذه الأيام أو المعارك المشهودة المشهورة .

ففي هذه « الوقعة » التي كانت فاتحة عز الإسلام وإذلال الشرك ، والتي كانت حرية بأن تزلزل القلوب الرواسخ ، لما كان عليه المشركون من قريش وأحلافها من الاعتداد بالقوة والمنعة ، نرى المقداد بن الأسود يقول للرسول صلى الله عليه وسلم : لا تقول كما قال قوم موسى : اذهب أنت وربك فقاتلا ، ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك !

وفي هذا اليوم الأغر ، نرى سعد بن معاذ يتحدث باسم الأنصار فيقول للرسول صلى الله عليه وسلم : قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا على السمع والطاعة . فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا العدو غدا . إنا لضُّبُر في الحرب ، صدُق عند اللقاء ، لعل الله يريك ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله !

ما أدل هذا الكلام من المقداد وسعد ، على الإيمان الصادق والعقيدة الراسخة ! وما أروع من عهد على السمع والطاعة يؤكد ماسبقه من عهد ، وإن كان فيه الموت ! وما أعذب الموت في هذه الحال في سبيل العقيدة وإنقاذ أمر الله ورسوله ! وما أبعد

هؤلاء المهاجرون والأنصار عن الاعتزاز بشيء غير قدرة الله وقوته ، وغير عونته وتأنيده ونصره لهم وقد امتلأت قلوبهم ونفوسهم بالعقيدة في الله وحده ، ووطنوا النفوس على النصر أو الشهادة !

وبعد ! هذا الإيمان الكامل بالله ، هذه العقيدة النقية القوية بالإسلام الذي رضىه الله ديننا لنا ، هذه العقيدة الخالصة التي بها فتح المسلمون بلاد كسرى وقيصر ، والتي حملها المسلمون إلى مشارق الأرض ومغاربها ، ماذا صارت إليه ؟ وماذا صار إليه المسلمون بعدها ؟ وهل نعتبر أنفسنا ، معشر المسلمين ، اليوم أحفاد أولئك الرجال العظام بعد أن انحرفنا عما كانوا عليه من إيمان وعقيدة ، بل بعد أن أصبح كل ذلك إلى فساد فينا ؟

إن الأمر ليس أمر الدين فحسب ، بل الأمر أمر كل حياتنا الدينية والاجتماعية والسياسية معا ، فإن الانحراف عن العقيدة التي كانت ملاك الأمر كله والسبب الأول لمجد المسلمين وعظمتهم هو علة كل ما نشكو منه هذه الأيام من فشل وتأخر وانحطاط في كل نواحي الحياة .

صارت منافئة لا تتفق بالإسلام ومقوماته ، ولا بالدين وتقاليده ، ومن ثم فقدت الإيمان بالإسلام كدين ، وبالمسلمين كأمة قادرة على قيادة العالم من جديد كما قادته في الماضي البعيد .

ولعلنا لا نبالغ إن قلنا إنه لم يبق إلا القليل من المسلمين من يرى مع شاعر الإسلام « محمد إقبال » أن المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار ويسير الركب البشري حيث سار ؛ بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية ، ويفرض على البشرية اتجاهه ويعمل عليها إرادته لأنه صاحب الرسالة والعلم اليقين !

هذا ، ولهذا الاحتمال تفصيل نلمس منه سوء عاقبة فساد العقيدة أو الانحراف عنها ، وذلك يبحث بعض نواحي حياتنا الدينية والاجتماعية والسياسية ، ومن الله التوفيق والسداد .

خاطرة :

أم حرام

[في جزيرة قبرص قبر « أم حرام » ويسميه الناس
هناك قبر المرأة الصالحة ، فهل تعرف قصتها ؟]

هي زوجة عبادة بن الصامت ، رضى الله عنهما ...
زارهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، وكان الوقت وقت قيلولة والحرق شديد ،
فنام قليلا ثم استيقظ وهو يضحك ، فقالت أم حرام : « ما يضحكك يا رسول الله ؟ » قال :
« ناس من أمتي عرضوا على غزاة في سبيل الله عز وجل ، يركبون ثبج هذا البحر مثل
الملوك على الأسرة !! » تقول أم حرام : فقلت يا رسول الله : ادع الله أن يجعلني منهم ،
فدعا لها . ثم وضع رأسه وغلبته سنة أخرى من النوم ، ثم استيقظ وهو يضحك ،
فقلت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : « ناس من أمتي عرضوا على غزاة في سبيل الله
عز وجل ... » كما قال في الأولى . فقلت : ادع الله يا رسول الله أن يجعلني منهم . قال :
« أنت مع الأولين » .

وإنك لتطالع مع روعة النبوة في وجه النبوة الضاحك ، جمال النفس الكبيرة
في المرأة الصالحة ... جمال التصديق الذي استقبلت به البشرية ... وجمال « الأمنية »
أن تكون مع غزاة البحر في سبيل الله !!

مرحقات مرسدى

وصرت أيام وسنون ، ولى فيها الحكم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، رضوان الله
عليهم جميعا ، ثم ولى الحكم معاوية ، وكتب الله أن يشهد البحر غزو الإسلام ، وركبه
عبادة بن الصامت في نفر من المسلمين ، وركبته معه أم حرام ... وأخذتها نشوة الإيمان
والسفينة تميل بها الأمواج ، خدعت أصحابها بالذي كان بينها وبين النبي ، وهم يستمعون إليها
في دهشة من أمرها ، وفي إعجاب بمكانها الذي خصها به النبي ، وساققتها إليه ، أو ساققتها
إليها ، دعوته المباركة التي يشهدون برهان صدقها ماثلا يأخذ النفس !!

ووصل الركب إلى قبرص ، ونزلت أم حرام من السفينة ، وقدموا لها بغلة تركبها ،
فجمعت البغلة وصرعت أم حرام ، ودفنت يوم خرجت من البحر ، ولا يزال قبرها هناك ...
وهكذا يأبى فضل الله أن تصدق دعوة النبوة في ركوب البحر وحده ... فرزقها أجر
الشهداء حتى تكون فيمن رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الملوك على الأسرة !
ألم يقل لها : « أنت مع الأولين » ؟ !

يا عين النبوة : تبارك هذا النور الذي تنظرين به ...
وأنتم يا أتباع النبي : خذوا زادكم من هذا النور !!

الآثار العلمية للمزاهب

للأستاذ الدكتور محمد معروف الدواليبي

لم تلبث الحقوق الإسلامية أن أفادت قبل أي علم آخر من الحركة العلمية التي انبثقت بعد عهد الصحابة ، واندفع العلماء في حركة تأليف في الحقوق لم يُعهد لها مثيل في التاريخ ، وتركوا ثروة علمية في هذا الميدان لا يمكن أن تضاهيها ثروة أخرى لدى أمة من الأمم ؛ ويرجع الفضل في ذلك إلى ثلاثة عوامل أساسية سنأتي على ذكرها فيما يلي :

أما العامل الأول : فهو كون الاجتهاد أصلاً من أصول الشريعة الإسلامية ، ومصدراً من مصادرها . وقد تركت هذه السلطة لحرية القضاء ومواهب العلماء ، فكان ذلك أعظم حافز للبحث والتأليف وتدوين كل قاض وعالم ما لديه من علم واجتهاد . ولم يشأ العلماء في وقت من الأوقات حينذاك أن يغلّقوا باب الاجتهاد وأن يوقفوا تلك الحركة العلمية وأن يحملوا الناس على مذهب واحد .

ولقد جاء عن الإمام مالك أنه قال : « لما حج المنصور قال لي : قد عزمت على أن أمر بكتبتك هذه التي وضعتها فتنسخ ؛ ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين نسخة منها ، وأمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه إلى غيره . فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا ، فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورددوا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ودانوا به ؛ فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم ^(١) » .

وكذلك روى عن الإمام مالك أنه قال : « شاورني هارون الرشيد في أن يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه . فقلت : لا تفعل ، فإن أصحاب رسول الله اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان وكل مصيب ^(٢) » .

(١) فجر الإسلام ، للأستاذ أحمد أمين ص ٢٢٢ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ١٣٦٤ هـ .

(٢) نفس المرجع قبله .

وأما العامل الثانى لهذه الوفرة العجيبة فى المؤلفات الحقوقية : فهو ازدهار الاجتهاد فى آن واحد تقريباً فى جميع أقطار المملكة الإسلامية الشاسعة ، لأن هذه الأقطار المختلفة فى عاداتها ، والتباينة فى شروط حياتها الاقتصادية ، والممتدة من الأندلس إلى أبواب الصين ، كان لديها الكثير من المسائل والقضايا الجديدة التى لم يتناولها الكتاب والسنة . وكان لا بد للعلماء من الاجتهاد فى تلك القضايا وتخرج أحكامها . وهكذا ، فقد انتشرت مراكز علم الفقه الإسلامى فى أعظم عواصم العالم الإسلامى من القارات الثلاث : فى الأفغان على حدود الصين ، وفى نيسابور من بلاد المعجم ، وفى بغداد والكوفة والبصرة من العراق ، وفى دمشق وحمص من سوريا ، وفى المدينة ومكة من الحجاز ، وفى مدينة الفسطاط من مصر ، وفى القيروان من تونس ، وفى قرطبة وغرناطة وطليلة من الأندلس ، وفى غير ذلك من المدن التابعة لهذه العواصم الكبرى .

وأما العامل الثالث أيضاً للزيادة فى هذه الثروة الحقوقية : فهو الحجج ؛ فقد اتخذ العلماء منه مؤتمراً علمياً سنوياً يحجج إليه العلماء من سائر تلك الأقطار وهاتيك العواصم ، ليعرض كل منهم ما لديه من نتائج علمى ورأى اجتهادى وحادث واقعى ، وليتبادلوا الرأى فى ذلك ، وليأخذ بعضهم عن بعض .

ولا يخفى على أحد ما لهذه المؤتمرات السنوية العالمية العلمية حينذاك من أثر عظيم فى زيادة البحث العلمى وحركة التأليف فيه .

وهكذا ، وتحت تأثير هذه العوامل الثلاثة الأساسية تكونت المكتبة الإسلامية الحقوقية الواسعة ، فكانت فى ذلك مجموعة من قرائح مختلفة من الشرق إلى الغرب ، ومعبرة عن وقائع حقوقية ، لا فى قطر واحد ، وإنما فى أقطار القارات الثلاث من العالم القديم ، وفى مراكز المدن السامية منها .

ولذلك لا عجب بعد اليوم أن نجد الفقه الإسلامى وما دونه فيه أولئك العلماء العظام مجموعة واسعة فى الحقوق ، ما عُرِف وإن يعرف لها مثيل فى وفرتها وغزارة مسائلها ؛ وقد انصرف العلماء فيها منذ ذلك الحين ليضيفوا عليها جميعاً روح القرآن

والسنة في قواعدها العادلة ، ومبادئها السامية ، حتى وصلتنا اليوم وكأنها صبت في قالب واحد أو أحكمت في نسق واحد ، على الرغم من اختلاف رجالها في الأقطار والأفكار .

التنوع في المؤلفات الحقوقية :

ليس من الممكن لى في مثل هذا المقام أن أصف للقارئ - ولو بإيجاز - الكتب الهامة النفيسة التي ديجتها أقلام أولئك العلماء العظام ، ولذلك سأكتفى بالإشارة إلى ما كان في تلك المؤلفات من تنوع في العرض والتأليف ، وهي لا تتجاوز في الجملة سبعة أنواع .

وفي مقدمة هذه الأنواع مجموعات من الحديث والسنة النبوية ، وقد صنف ما فيها من الأحكام إلى أقسام تبعاً للمطالب الهامة من أحكام الفقه ، ووضعت تلك الأحكام في كتب ، وقسمت تلك الكتب إلى أبواب ؛ ويضاف أحياناً بعد ذلك إلى تلك الآثار بعض الأحكام والوقائع التي اعتبرها المؤلف من الأشباه والنظائر ، أو حكم فيها تبعاً للمبادئ العامة التي رواها . وخير مثال على هذا النوع من التأليف هو كتاب الإمام مالك الذي أطلق عليه اسم « الموطأ » .

ويأتى في ثاني هذه الأنواع مؤلفات فقهية ، الغرض منها معرفة الأحكام فقط ، وقد وضعت تبعاً للمذهب الذي ينتمى إليه المؤلف ، وصنفت أيضاً في كتب وأبواب .

وخير مثال على هذا هو ذلك الكتاب العظيم مادة ومعنى الذي ألفه الإمام محمد بن الحسن تلميذ الإمام أبي حنيفة ، وأطلق عليه اسم « المبسوط » ، وجمع فيه عشرات من ألوف المسائل^(١) ، ومنها ألوف من المسائل استنبط أبو حنيفة أجوبتها ، ومنها ما خالفه فيها أبو يوسف ومحمد^(٢) .

ومن عادة محمد في ذلك الكتاب أن يبدأ الباب بما عندهم من الآثار ،

(١) تاريخ التشريع ، للاستاذ الحضري ص ٢٨٣ ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٣٩ هـ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٣٠٤ .

ثم يذكر مسأله ، وكثيراً ما يختم بذكر المسائل التي اختلف فيها أبو حنيفة وابن أبي ليلى من هذا الباب . وهو خلو من تعليل الأحكام^(١) .

وفى نوع ثالث من المؤلفات كتب فى الآثار فقط جمعها بعض علماء المذاهب ، ووضعوا فيها جميع الآثار التي يحتج بها أئمة المذاهب .

وخير مثال على ذلك كتاب للإمام محمد أيضاً أطلق عليه اسم « كتاب الآثار » وجمع فيه الآثار التي يحتج بها أئمة الحنفية^(٢) .

وفى نوع رابع من المؤلفات تأتى كتب النقد العلمى الحقوق ، وقد وضعها أصحابها لمناقشة آراء مخالفهم ، وإظهار مواطن الضعف فيها ، والتدليل على رجحان ما ذهبوا إليه .

وخير مثال على ذلك كتاب للإمام محمد أيضاً أطلق عليه اسم « الرد على أهل المدينة » ، والكتاب عبارة عن مسائل خالف أبو حنيفة فيها أهل المدينة ؛ وقد روى هذا الكتاب الإمام الشافعى فى « الأم » ، وتعب هو بدوره أيضاً كل مسألة فيه ، إما انتصاراً لأهل المدينة ، وإما موافقة لرأى أبى حنيفة ، وإما رداً عليهما على السواء ؛ وقد جاء ذلك خير مثال لكتب النقد الحقوق ، الذى يمنح قارئه لا علماً فقط بمسائل الخلاف وبطريقة النقد ، بل يمنح قارئه فوق ذلك ذوقاً حقوقياً دقيقاً لا يستطيع الحصول عليه فى أى مؤلف من المؤلفات الحقوقية ، ولا فى أى نوع آخر من الدراسات ؛ وإليك مثلاً عنه فى إحدى مسأله :

(باب : الرجل يمسك الرجل للرجل حتى يقتله)

« قال أبو حنيفة رضى الله عنه فى الرجل يمسك الرجل للرجل فيضرب بسلاح فيموت مكانه : إنه لا قود على المسك ، والقود على القاتل ، ولكن المسك يوجع عقوبة ويستودع فى السجن .

وقال أهل المدينة : إن أمسكه وهو يرى أنه يريد قتله ، قتلا به جميعاً .

(١) تاريخ النشرىم ، الأستاذ الحضرى ، ص ٣٠٤ — ٣٠٥ ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٣٩ هـ

(٢) نفس المرجع السابق ص ٣٠٩ .

« وقال محمد بن الحسن : كيف يُقتل المسك ولم يُقتل ؛ وإذا أمسكه وهو يرى أنه لا يريد قتله فتقتلون المسك ؛ فإن قالوا لا إنما نقتله إذا ظن أنه يريد قتله ، قيل لهم فلا نرى القود في قولكم يجب على المسك إلا بظنه ، والظن يخطيء ويصيب ! ! أرايتم رجلاً دل على رجل فقتله ، والذي دل يرى أنه سيقتله إن قدر عليه ، أنتقلون الدال كما تقتلون المسك ؟ أرايتم رجلاً أمر رجلاً بقتل رجل فقتله ، أيقُتل القاتل والآمر ؟ أرايتم رجلاً حبس امرأة لرجل حتى زنى بها أيحداً جميعاً ، أو يحمد الذي فعل الفعل ؟ فإن كانا محصنين ، أيرجى جميعاً ؟ ينبغي لمن قال يُقتل المسك أن يقول : يقام الحد عليهما جميعاً ! أرايتم رجلاً سقى رجلاً خمرًا ، أيحداً جميعاً حد الخمر ، أم يحمد الشارب خاصة ؟ أرايتم رجلاً أمر رجلاً أن يفترى على رجل ، فافترى عليه ، أيحداً جميعاً ، أم يحمد القاذف خاصة ؟ ينبغي في قولكم أن يحداً جميعاً ! ! أخبرنا إسماعيل بن عباس الحمصي ، قال أخبرنا عبد الملك بن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في رجل قتل رجلاً متعمداً ، وأمسكه آخر ، فقال : يقتل القاتل ويحبس الآخر في السجن حتى يموت .

قال الشافعي رحمه الله تعالى : **حَدَّثَنَا اللَّهُ النَّاسَ عَلَى الْفِعْلِ نَفْسَهُ وَجَعَلَ فِيهِ الْقُودَ ،** فقال تبارك وتعالى : « كتب عليكم القصاص في القتل » وقال : « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا » فكان معروفاً عند من خوطب بهذا الآية أن السultan لولي المقتول على القاتل نفسه ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من اعتبط مسلماً بقتل ، فهو قود يده » وقال الله تبارك وتعالى : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة . » وقال : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة » ولم أجد أحداً من خلق الله تعالى يُقتدى به حدّاً أحداً قط على غير فعل نفسه أو قوله . فلو أن رجلاً حبس رجلاً لرجل فقتله ، قتل القاتل وعوقب الحابس ، ولا يجوز في حكم الله تعالى إذا قتلتُ القاتل بالقتل أن أقتل الحابس بالحبس ، والحبس غير القتل . ومن قتل هذا فقد أحال حكم الله عز وجل لأن الله إذ قال : « كتب عليكم القصاص في القتل » ، فالقصاص أن يفعل بالمرء مثل ما فعل ، هل ثم قتل فيقتل به ؟ وإنما ثم حبس ، والحبس معصية ، وليس فيها القصاص فيعزر فيها ،

وسواء حبسه ليقتله أو لا ليقتله ؛ ولو كان الحبس يقوم مقام القتل إذا نوى الحابس أن يقتل المحبوس انبنى لو لم يقتل أن يقتله ، لأنه قد فعل الفعل الذى بقيمة مقام القتل مع النية ، ولكنه على خلاف ما قال صاحبنا — مالك بن أنس — وعلى ما قال محمد بن الحسن فى الجملة .

« وعامة ما أدخل محمد بن الحسن على صاحبنا يدخل عليه ، وأكثر منه ؛ ولكن محمداً لا يسلم من أن يغفل فى موضع آخر فيدخل فى أكثر مما عاب على صاحبنا ، فيكون جميع ما احتج به على صاحبنا فى هذا الموضع حجة عليه . فإن قال قائل : وما ذلك ؟ قيل : يزعم أن قوماً لو قطعوا الطريق فقتلوا ، ولهم ردء حيث يسمعون الصوت وإن كانوا إلا يرون ما فعل هؤلاء من القتل ، قتل القاتلون بقتلهم ، والردء بأن هؤلاء قتلوا بقتلهم ! قال الشافعى رحمه الله : فقلت لمحمد بن الحسن أرويت فى هذا شيئاً ؟ فلم يذكر رواية ، فقلت له : رأيت رجلاً شديداً أراد رجل ضعيف أن يقتله فقال لرجل شديد : لولا ضعفى قتلت فلانا ، فقال : أنا أكتفه لك ، فكشفه وجلس على صدره ورفع لحيته حتى أبرز مذبجه وأعطى الضعيف سكيناً فذبجه ، فزعمت — أى قياساً على ما جاء فى ردء على أهل المدينة — أنك تقتل الذابح لأنه هو القاتل ، ولا تلتفت إلى معونة هذا الذى كان سببه ، لأن السبب غير الفعل وإنما يؤاخذ الله الناس على الفعل ، أكان هذا أعون على قتل هذا ، أو الردء على قتل من مر فى الطريق ؟ ثم تقول فى الردء لو كانوا حيث لا يسمعون الصوت ، وإن كانوا يرون القوم ويعززونهم ويقوونهم ، لم يكن عليهم شيء إلا التعزير !! فمن حد لك حيث يسمعون الصوت ؟ قال : فصاحبكم معى يقول مثل هذا فى الردء يقتلون ؛ قلت : فتقوم لك بهذا حجة على غيرك إن كان قولك لا يكون حجة ؟ أفيكون قول صاحبنا الذى تستدرك عليه مثل هذا حجة ؟ قال : فلا تقوله ؟ قلت : لا ، ولم أجد أحداً يعقل يقوله ، ومن قاله خرج من حكم الكتاب والقياس المعقول ، ولزمه كثير مما احتججت به ! فلو كنت إذا احتججت فى شيء ، أو عبت به ، سلمت منه ، كان (١) » .

وعلى هذا النمط البديع من النقاش ، وقوة الحجاج عند الطرفين ، يجرى

الكتاب في جميع مسأله . ولعمري إنه ضرورة حقوقية ثمينة ، وإنه لجدير بكل حقوق ألا يغفل عن مطالعته .

وفي نوع خامس من هذه المؤلفات النفيسة ، تأتي كتب في المقارنة ما بين الأحكام لدى بعض المذاهب أو جلها ، وهو الذي يعرف اليوم بعلم الحقوق المقارن . ومن خير أمثلتها أيضاً كتاب للإمام محمد استعرض فيه « الوطأ » للإمام مالك ، وعقب أحاديثه بما عليه العمل عند أبي حنيفة موافقاً أو مخالفاً ، وبين السبب الذي من أجله كان الخلاف^(١) .

وإن هذا النوع من المؤلفات في علم الحقوق المقارن قد أهتم به العلماء فيما بعد اهتماماً عظيماً ، وأصبح علماً مستقلاً يطلق عليه اسم « علم الخلاف » وتناول في المقارنة المذاهب الأربعة الكبرى كلها . وأشهر كتاب في ذلك هو كتاب « بداية المجتهد » للعلامة قاضي قرطبة . الفيلسوف ابن رشد .

وفي نوع سادس من هذه المؤلفات الحقوقية البديعة تأتي الكتب الكثيرة المعروفة التي تجمع مسائل مذهب من المذاهب ، مصحوبة بما تعتمد عليه من أصول ، وما تتطلبه من تدليل ، وما تستدعيه عند الاقتضاء من نقاش للآراء المخالفة . وإن أحسن مثال لهذا النوع هو ذلك الكتاب العظيم « الأم » للإمام الشافعي الذي سبق ونقلنا عنه نموذجاً حول كتاب الإمام محمد في « الرد على أهل المدينة » ، وتبيننا منه في الوقت نفسه خطة الشافعي في تقرير مذهبه والدفاع عن مسأله .

وآخر هذه الأنواع وسابعها ، هي تلك الكتب العلمية الفلسفية المبتكرة التي وضعها المجتهدون والفقهاء في علم أصول الفقه لبيان مصادر الشريعة وأصولها لدى كل مذهب ، وبشرح الطريقة الاجتهادية لدى كل منها ، وما بنيت عليه كل طريقة من قواعد وقوانين ، بها امتازت عن غيرها ، وعليها قامت دعائم المذهب ، مصحوبة تلك القواعد بكثير من الأمثلة والأحكام كشرح وإيضاح .

ولقد كان للإمام الشافعي شرف البدء في التأليف في هذا النوع الهام المبتكر ، فوضع في ذلك « الرسالة » وتبعه العلماء بعد ذلك ، حتى نضج هذا النوع من التأليف ، واستقل تحت اسم خاص من العلوم أطلق عليه فيما بعد « علم أصول الفقه » .

الطريق إلى مكة

للأستاذ محمد أسد

بينى وبين وايزمان

[يتحدث الكاتب في هذا الفصل من مؤلفه (الطريق إلى مكة) الذى يعكف الآن على إخراجه متضمناً تاريخ حياته ، عن زيارته الأولى للشرق الأوسط (١٩٢٢/٢٣) قبل نحو أربع سنوات من اعتناقه الإسلام]

ترى ماذا كان مبلغ علم الرجل من أوساط الأوروبيين عن العرب فى تلك الأيام ؟
(١٩٢٢) لا شىء فى الواقع !

لقد كان أحدهم إذا زار الشرق الأوسط حمل معه جملة الأوهام الخيالية الخاطئة التى اعتادها عن هذه البلاد . فإذا اتفق أن كان سليم القصد نزيه التفكير فلا بد وأن يقر بأنه لم تكن لديه أية فكرة صحيحة عن العرب أهل تلك البلاد .

وأنا كذلك لم أكن أتصور قبل زيارتى لفلسطين أنها بلاد عربية . بل كنت أحسب أن بعض الأعراب يعيشون هناك ، إلا أننى كنت أخالهم بدواً رحلاً ، ينزلون الخيام ويجوبون الصحارى ، أو أهل واحات ركنوا إلى ظلالها ، وألفوا فيها التغنى بأخيلتهم فى أهاليج الرعاة ، فقد كان جل ما قرأته من قبل عن فلسطين من كتابات الصهيونيين ، وهؤلاء لم تكن نظرتهم بطبيعة الحال ترى من قضيتها سوى الجانب الذى يعينهم ، ولذلك لم أتحقق قبل تلك الزيارة أن المدن أيضاً كانت أهلة بسكانها من العرب ، وأن العرب فى الواقع كانوا سنة ١٩٢٢ خمسة أضعاف اليهود عدداً فى فلسطين ، وأن البلاد كانت أدنى أن تكون عربية خالصة من أن تكون بلداً لليهود .

عند ما قابلت أسشكن (Ussyshkin) رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية فى ذلك الوقت أبدت له ملاحظتى عما لمست من ميل الصهيونيين إلى التهوين من شأن الأكرثية

العربية وهي حقيقة واقعة ، والاستخفاف بمقاومة العرب للفكرة الصهيونية . فما كان في رده غير الازدراء للعرب إذ قال : « لا توجد هنا حركة عربية حقيقية ضدنا — أعني حركة عميقة الجذور في نفوس الناس — وكل ما تعتبره مقاومة لا يمدو في الواقع صيحات نفر من المحرضين المثيرين ، لن تلبث أن تضحل في بضعة أشهر أو على أكثر تقدير في بضع سنين » .

لم تكن هذه الإجابة لتقنعني أو ترضيني ، إذ أحسست منذ البداية أن فكرة استقرار اليهود في فلسطين واستعمارهم إياها فكرة مصطنعة ، والأدهى من ذلك خطرها من حيث نقل التعقيد الشائك في الحياة الأوروبية ومشكلاتها المستعصية إلى بلاد لعله كان أسعد لها وأرغد لو ظلت منها بنجوة . إن نزوح اليهود إلى فلسطين لم يكن في الحقيقة عودة إلى وطن ألفوه ونشأوا فيه ، ولذلك كان عليهم أن يعملوا منها الوطن الذي رسموه في مخيلتهم أوروبياً في نسقه وزرعته . لقد كانوا في الدار وهم عنها غرباء ، ولذلك رأيت أن العرب لا يلامون في تصميمهم على مقاومة فكرة إقامة الوطن القوي اليهودي بين أظهرهم ، بل على العكس ، فالعرب قد بُغِيَ عليهم ، وهم على حق واضح في دفع هذا البغى عن أنفسهم .

لقد تبينت في تصريح بلفور سنة ١٩١٧ الذي وعد اليهود وطناً قومياً في فلسطين مناورة سياسية قاسية ، أحكمت لمتعهد المبدأ القديم المعروف لدى القوى المستعمرة جميعاً (فرق تسد) ، ولقد كان تطبيق هذا المبدأ في فلسطين أفضع من تطبيقه سنة ١٩١٦ حين وعد البريطانيون الشريف حسين أمير مكة حينئذ مملكة عربية مستقلة تمتد من ساحل البحر الأبيض المتوسط حتى الخليج الفارسي نظير مساعدته لهم ضد الأتراك ؛ إذ لم يكتفوا بنقض هذا الاتفاق بمهادنة سايكس بيكو السرية التي أبرموها مع فرنسا (وبمقتضاها خُوِّلت فرنسا الاستيلاء على سوريا ولبنان) بل لحوا باستثناء فلسطين من التزاماتهم التي تعهدوا بها للعرب .

لقد أحسست من نفسي منذ البداية ببرم شديد بالصهيونية رغم أنني من أصل يهودي — بغض النظر عن عاطفتي نحو العرب — فقد كنت أعتبر من التنكر للمثل العليا أن يؤم البلاد المهاجرون من شتى الأقطار بمساعدة قوى أجنبية عالمية هائلة بقصد مستعلن

سافر يتجه إلى تكوين أغلبية في البلاد تمتلكها دون أهلها الذين لم تزل موطناً لهم منذ القدم ؛ ولذلك كنت أميل إلى الوقوف بجانب العرب كلما أثرت قضية فلسطين ؛ وكثيراً ما كانت تثار^(١) .

كان هذا الموقف الذي التزمته يبدو غريباً على أفهام جميع اليهود الذين اتصلت بهم خلال تلك الأشهر ، وكانوا يعجبون لنظرتي هذه إلى العرب الذين لم يكونوا في اعتبارهم سوى جماعة متأخرة من الناس لا يختلف شعورهم نحوهم كثيراً عن شعور الأوروبيين المستعمرين نحو الزنوج في أواسط أفريقيا ، فلم يكونوا يحفلون قط بوضع العرب في القضية ، بل لا تكاد تجد أحداً جشتم نفسه تعلم العربية ؛ وكلهم كان يتقبل الفكرة التي تزعم أن فلسطين تراث شرعي لليهود دون مناقشة .

إنني لا أزال أذكر حواراً قصيراً لي في هذه القضية مع الدكتور حاييم وايزمان ، زعيم الحركة الصهيونية حينئذ غير منازع ، لما نزل فلسطين مرة في إحدى زياراته وقابلته في بيت صديق من اليهود (أعتقد أن لندن كانت محل إقامته الدائم) والحق أن المرء لم يكن يوسعه إلا أن يؤخذ بالحيوية الفائقة في هذا الرجل -- تلك الحيوية التي تتمثل حتى في حركات جسمه ، في خطواته الواسعة المرنّة التي كان يذرع بها الغرفة جيئةً وذهاباً ؛ وبالقوة العقلية التي تبدو في جبهته المريضة ونظراته الثاقبة .

كان يتحدث عن الصعوبات المالية التي كانت تعترض ذلك الحلم بالوطن القومي اليهودي في فلسطين وقلة غناء استجابة الناس لهذا الأمل في الخارج ، وقد اعتراني الضيق إذ رأيت حتى وايزمان كغيره من الصهيونيين ميالاً إلى أن يعزو المسؤولية في كل ما كان يحدث في فلسطين إلى « العالم الخارجي » وألفيتني مدفوعاً إلى اقتحام الإصغاء الشامل الذي كان يملك جميع الحاضرين ، فسألته : « هلا فكرت في العرب ؟ » .

ولا بد أنني اقترفت زلة عندهم بإقحامى نعمة نشازاً في ذلك الحديث . فقد استدار الدكتور وايزمان بوجهة نحوى في بطاء ، ووضع فنجان الشاي من يده مردداً سؤالاً : « هلا فكرت في العرب ؟ . . » .

(١) انظر العدد الأول من السنة الثالثة من مجلة المسلمون ص ٢٤ و ٢٥ « رسالة من محمد أسد »

فأردفت قائلاً « أجل ، كيف تأملون أن تجمعوا من فلسطين وطناً لكم في وجه مقاومة عنيفة من العرب الذين هم على أى حال أكثرية أهل البلاد » .

وهنا هز الزعيم الصهيوني كتفيه وأجاب في جفاء ظاهر : « إننا نتوقع ألا يكونوا أكثرية في سنين قلائل » .

قلت له : « قد يتم ذلك كما تقول ، فلا بد أنك تدري من هذا الأمر ما لا أدريه إذ لم تزل تمارس هذه القضية منذ سنوات . ولكن بغض النظر عن الصعوبات السياسية التي قد تنجم عن مقاومة العرب ، ألا تجد في نفسك اهتماماً بالناحية الإنسانية الخلقية في هذه القضية ؟ ألا ترى في طرد أناس من بلادهم التي لم يزالوا يسكنونها منذ القدم فعلاً خاطئاً من جانبكم ؟ » .

فأجاب الدكتور وايزمان وهو يرفع حاجبيه « ولكنها بلادنا نحن ، وإننا لا نعدو بذلك استرداد ما كان أخذ منا بغير حق » .

قلت : « غير أنكم ما زلتم بعيدين عن فلسطين طوال ألفين تقريباً من السنين ، وقبل ذلك كانت مدة حكمكم للبلاد أقل من خمسمائة سنة ، ولم يشملها كلها إلا في فترة وجيزة منها . أفلا ترى أن العرب يحق لهم بهذا المنطق المطالبة بأسبانيا إذ حكموها سبعمائة سنة تقريباً ، ولم تدل دولتهم فيها نهائياً إلا منذ خمسمائة سنة فقط » .

هنا بدأ الدكتور وايزمان كأنما ضاق بي ذرعاً وقال : « محال ؟ إنما غزا العرب أسبانيا ولم تكن موطناً لهم من قبل ، ولقد كان وجه الحق أن يخرجهم الأسبان منها » .

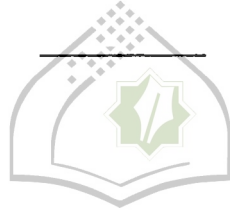
فدفعت زعمه قائلاً « عفوك يا دكتور ، يبدو لي هنا خطأ تاريخي ، إن العبرانيين على أى حال قدموا فلسطين غزاة أيضاً ، ولقد توطن قبلهم فيها لعصور خلت كثير من القبائل السامية وغير السامية ، ومنهم الأموريون والأدوميون والفلسطينيون والموابيون والحيثيون ؛ وقد ظلت هذه القبائل مقيمة في فلسطين حتى في أيام مملكتي إسرائيل ويهوذا ، ولم يزالوا كذلك إلى ما بعد طرد الرومان أسلافنا من هذه الديار ، وهم أولاء يعمرونها حتى يومنا هذا » .

إن العرب الذين أقاموا في سوريا وفلسطين بعد الفتح الإسلامي في القرن السابع

الميلادى إنما كانوا أقلية ضئيلة فى السكان ، أما البقية الذين يطلق عليهم اسم (العرب السوريين أو الفلسطينيين) إنما هم فى الحقيقة المستعربون من سكان البلاد الأصليين ، وقد دخل بعضهم فى الإسلام على مر القرون وظل الآخرون على مسيحياتهم ، ولا شك أن المسلمين منهم اختلطوا بإخوانهم فى الدين من العرب بالمصاهرة .

أبعد هذا تنكر أن جملة سكان فلسطين — أعنى كل من يتكلم منهم العربية سواء المسلم والمسيحي — هم النسل المباشر لسكان البلاد الأصليين : (الأصليين) بمعنى أنهم توطنوا البلاد حتى قبل العبرانيين ؟ ! » .

ولم يملك وايزمان بعد هذا إلا أن يتنسم ، وأدار بلباقة دفعة الحديث إلى موضوعات أخرى .



مرآة الخصال الأربع

عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها :

إذا أوْتَمَنَ خاف
وإذا حدث كذب
وإذا عاهد غدر
وإذا خاصم فجر

« رواه البخارى »

وقد لعمري رأينا الخصال الأربع كلها مجتمعة . . . !!

« التحرير »

من القديم :

التصوف والأخلاق

للإمام الشهيد حسن البنا

معنى التصوف

يراد بالتصوف الزهد في الدنيا والالتفات إلى الآخرة والاجتهاد في طاعة الله تعالى .

أو يراد به تطهير النفس من أدران البشرية حتى تصفو وتشرق وتكون مرآة للحقائق الربانية والأسرار الإلهية .

أو يراد بفناء العارف عما سوى الله تعالى فلا يرى موجوداً بذاته غيره .

أو يراد به اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله .

أو يراد به هذه المعاني كلها لتلازمها واتصالها وترتب بعضها على البعض الآخر . وهذا المعنى هو الذى يقصده شيوخ الصوفية المحققون رضوان الله عليهم لا يمدلون به إلى غير ذلك ، وأقوالهم في تعريف التصوف وحده تؤيد هذا القصد :

قال الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد قدس الله سره : التصوف هو أن يعميتك الحق عنك ويحييك به . وقال : هو أن تكون مع الله بلا علاقة .

وقال أبو بكر الشبلى رضى الله عنه : الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق .

وقال بعض الشيوخ : وهو الدخول في كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنى ، أو هو أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم مع قوم كرام .

وقال سهل بن عبد الله رضى الله عنه : الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر ، وانقطع إلى الله دون البشر ، واستوى عنده المال والمدر .

وقال الشيخ أحمد بن عجيبة رضى الله عنه في شرحه لمنظومة المباحث في تعريف

الصوفي وذكر خصائصه : الناس ثلاثة : عالم ، وعابد ، وعارف ، وكلهم قد أخذ حظاً من الوراثة النبوية ؛ فالعالم ورث أقوال النبي صلى الله عليه وسلم علماً وتعلماً بشرط إخلاصه وإلا خرج من الوراثة بالكلية . والعابد ورث أفعاله صلى الله عليه وسلم من صيام وقيام ومجاهدة . والصوفي ورث العلم والعمل وزاد عليهما بوراثة الأخلاق التي كان عليها باطنه صلى الله عليه وسلم من زهد وورع وخوف ورجاء وصبر وحلم ومحبة ومعرفة . . . الخ .

وقد يطلق التصوف ويراد به الأذواق والمواجد وتناجج الكشف التي تعرض للسالكين وتلوح للسائرين . وهذا المعنى خاص بصاحبه لا يصح أن يظهره أو يكتبه أو يشير إليه ، ولا يصح أن يُتخذ حكماً شرعياً ولا حجة لحكم ، ولا يمكن أن تصوره العبارة أو تحده اللغة ؛ لأنه من الأذواق التي لا تتناولها مدلولات الألفاظ . وإلى هذا الإشارة بقول بعض الشيوخ : « علمنا هذا إشارة فإذا صار عبارة فني » .

ويقول صاحب منظومة المباحث الأصيلة :

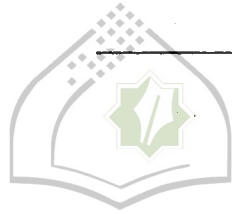
ووضعه في الكتب تحليلاً يحوز عدول هو كنز في النهى مكنوز
إياك أن تطمع أن تحوزه من دفتر أو شعر أو أرجوزه

وهذا هو المسمى بعلم المكاشفة . وهو أمر شخصي يتعلق بصاحبه فقط وتتناوله الأحكام العامة ؛ فإن أظهر منه شيئاً يوافق الأحكام الظاهرة والعامة سلم له ، وإن كان مخالفاً لها أقيمت عليه حدودها .

وقد يقصد بعض الناس من إطلاق لفظ التصوف معنى ثالثاً عماده المذاهب الفلسفية والآراء النظرية ، وهو نتيجة ربط الأذواق والمواجد بهذه العلوم وخلطها بأحكامها وقواعدها . ويتأدى الباحثون في التصوف بهذا المعنى إلى الوحدة والحلول وغيرها من الآراء الفلسفية الصرفة . والتصوف بهذا المعنى أمر فلسفي عقلي لا صلة له بالإسلام ألبتة ، ولم يكن على عهد السلف الصالح ، ولم يتكلم فيه كبار الصوفية ؛ وإنما هو علم أوجده اتساع العلوم واستبحار العمران وترجمة كتب الأمم الأخرى واختلاط

قواعد علومها بعلوم الإسلام كما وقع في علم الكلام . وقد يؤدي بصاحبه إلى الخروج عن عقيدة أهل الإسلام وهو يظن أنه من خاصتهم .

وقد كان النص في التصوف بهذا المعنى سبباً لبلاء كبير في المسلمين ، وتكأة لكل إباحي يتلمس السبيل إلى نيل شهواته تحت ستار من العقائد ، أو ملحد يريد أن يهدم الإسلام بتصيد الشبهات ، أو معطل يحاول التخلص من تكاليف الكتاب والسنة ؛ فعليك أن تتمسك بمدلول المعنى الأول وتعمل به فينكشف لك سر المعنى الثاني ، واحذر أن يلتبس عليك الطريق فتكون ممن يفهمون التصوف بالمعنى الثالث ، وسل الله دائماً أن يلهمك رشداً فإن مزالق الطريق كثيرة . والله حسبنا ونعم الوكيل .



مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي
وصية ابن عباس

عن مجاهد قال : أوصاني ابن عباس بخمس قال : لا تتكلمن في مالايعنيك فإنه أقرب لك من السلامة ولا آمن عليك الخطأ ، ولا تتكلمن فيما يعنيك حتى ترى له موضعاً ، قرب متكلم فيما يعنيه قد وضعه في غير موضعه فلقى عنتاً ، ولا تمارى حلماً ولا سفيهاً : أما الحلیم فيقلبك ، وأما السفیه فيؤذيك ، واخلف أخاك إذا غاب عنك بمثل ما تحب أن يخلفك به إذا غبت عنه ، وأعفه مما تحب أن يعفبك منه ، واعمل بعمل رجل يعلم أنه مكافأ بالإحسان ، مأخوذ بالإساءة .

كارثة فلسطين

الأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس

أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة

(٣)

أخذ الشعور بخطر «الصهيونية» يزداد بتزايد أعداد المهاجرين إلى «فلسطين» ، على إثر استيلاء رجال «الحزب الوطنى الاشتراكى» على مقاليد الحكم فى ألمانيا عام ١٩٣٣ ، وقيامهم بتطهير وطنهم من اليهود ، لما ظهر منهم من الغدر والحياة فى أثناء الحرب العالمية الأولى . فبينما كان عدد المهاجرين فى عام ١٩٣١ ٢٥٠٠ فقط إذا به يرتفع فى الأعوام التالية فيصير فى سنة ١٩٣٢ ٩٥٥٠ ، ثم فى سنة ١٩٣٣ ٣٠٣٢٧ ، ثم يثب فى سنة ١٩٣٤ فيصير ٤٢٣٥٩ ، وفى سنة ١٩٣٥ يبلغ ٦١٨٢٤ . ورحبت الدول الأوربية ، ومن بينها إنجلترا ، بتحويل العدد الأكبر من النازحين إلى الشرق الأوسط ، لأنها فى نفس الوقت الذى تتظاهر فيه بالمطف عليهم تريد أن تتخلص منهم من بلادها ، ولا تقصد أن تنصفهم إلا على حساب غيرها : أى العرب ، ذوى الحمى المستباح !

لم يكن بد إذن ، وسكان فلسطين يرون أنهم قد أغرقوا ويُفارقون بأموال المهاجرين المتتابة ، من أن يقوموا بثورة عارمة ، أرادوا بها الإعلان عن حقهم والذود عن كيانهم ، ومحاولة إيقاظ ضمير العالم الميت ، الذى خنقته المطامع والشهوات والأحقاد ، الناشئة عن التمسبب القومى والدينى والإغراق فى عبادة المادة ، والآثرة الموبقة : تلك الصفات التى تتجلى فى نفوس الأوربيين والأمريكيين ، من مسيحيين ويهود . فكانت إذن ثورة العرب الكبرى فى عام ١٩٣٦ التى استمر فيها إضرابهم ستة أشهر كاملة ، وخرج أبطالهم يقاتلون فى الجبال والوديان ، فكانت الطائرات

الإنجليزية تدك مفاقلهم وقراهم بالقنابل دكا ! وهكذا أصبحت فلسطين — الأرض المقدسة — في حالة حرب . وكان أول أثر لذلك هبوط نسبة الهجرة في السنوات القليلة التالية ، كما أن هذه كانت أول مرة شعر فيها الإنجليز بقوة العرب . ولم تجد إنجلترا بداً من معالجة الحالة — بطريقة الخاصة — فأرسلت لجنة للتحقيق رأسها لورد « بيل » — نائب الملك السابق في الهند — فأخذت تحقق وتستجوب ، وكان العرب قد قاطعوها في بداية الأمر ثم اتصلوا بها بعد ذلك ، وأخيراً أصدرت تقريرها في يولييه ١٩٣٧ .

اعترف تقرير هذه « اللجنة » ببعض الحقائق : فقرر أن أسباب الثورة راجعة إلى رغبة العرب في الحصول على استقلال بلادهم ، ومعارضتهم للوطن القومي اليهودي ، وبالتالي خوفهم من سيطرة اليهود . كما سجل أن العرب يأخذون على حكومة الانتداب تحيزها للصهيونية ، وأنها لم تحقق ما نصت عليه وثيقة انتدابها من العمل لإقامة الحكم الذاتي في البلاد ، خشية إغضب الصهيونيين إذ كانوا لا يزالون أقلية ، فبينما تهمل بريطانيا تنفيذ البنود التي تخدم مصالح فلسطين والعرب تعنى بتنفيذ تلك التي تحقق مطالب اليهود : مثل تيسير الهجرة ، وشراء الأراضي من العرب ، وما إلى ذلك . وتضمن التقرير عدة توصيات ، بعضها جاء بعد فوات الوقت ، وأتى بعضها مناقضاً للبعض الآخر ، ولكن أهم ما جاء به وهو العلاج النهائي الذي قدمه لحل المشكلة أنه اقترح تجزئة أو « تقسيم » فلسطين إلى ثلاثة أقسام ؛ وكان هذا أول ظهور لفكرة التقسيم في ثوب رسمي ، وهي فكرة وردت من إنجلترا ! فاقترح أن يكون القسم الساحلي مع ما يليه من سهول خصبة لليهود ، والقسم الداخلي الذي يكون مع شرق الأردن كتلة واحدة يكون للعرب ، وبينهما دولة الانتداب التي تفصل بينهما ، وتشمل رقعتها القدس وبيت لحم والناصرة ، وتشرف على كليهما بمقتضى معاهدتين تبرمهما مع كل منهما على حدة . ولما كانت هذه « التجزئة » لوطن واحد محدود المساحة معناها اقتطاع الجزء الأكبر من الوطن العربي في فلسطين للإنجليز واليهود ، مع الاعتراف بشرعية وجود الآخرين الذين ما هم غير مقتصبين ، واستمرار خضوع البلاد لنفوذ الاحتلال دون أن تنال استقلالها ، كان طبيعياً أن

يكون نصيبها الرفض ، وكانت على كل حال اقتراحاً غير عملي لم يرض به أى طرف . ولم يجد العرب حينئذٍ أمامهم إلا أن يستأنفوا الجهاد ، فمادت الأمور كما كانت إلى الاضطراب ، وقابلت الحكومة البريطانية هذا السعى المشروع نحو الاستقلال ودفاع أهل فلسطين عن وطنهم بكل قسوة وعنف ! فغربت القرى ، وسجنت الأحرار ، وأقامت المحاكم العسكرية في كل ناحية ، ثم حلت اللجنة العربية العليا واعتقلت أعضائها فنفتهم إلى « سيشل » ، وإن كان « المفتى » استطاع أن يفر إلى بيروت ثم إلى العراق . هذا بينما تنعم « الوكالة اليهودية » في أحضان حكومة الانتداب آمنة ، تنظم شئونها وتدبر خططها للمستقبل في طمأنينة ورضا !

وهكذا وجدت « إنجلترا » نفسها وجها لوجه أمام أزمة عجزت أساليبها الدبلوماسية الخداعة أو العسكرية الصارمة عن حلها ، وظهر فشل « انتدابها » أمام العالم فشلاً ذريعاً ، بعد مضي عشرين عاماً على وعد « بلفورها » الشهير ، فلم يكن لأعمالها من نتيجة إلا أن حولت أرض فلسطين المقدسة — أرض السلام — إلى ميدان حرب ، وخضبنها بأنهار من دماء !

أرغمت تلك الأحداث وغيرها إنجلترا على أن تفكر في موقفها وتدرك خطورة النتائج التي أوصلتها إليها أعمالها ، فكان لابد لها أن تتراجع ، ولو قليلاً ، وتأخذ في تعديل سياستها ، ولا سيما والسحب المنذرة بالشر ، الموعدة بقرب هبوب حرب عالمية ثانية كانت تتجمع وتتكاثر في أفق العلاقات الدولية ، وكانت قوة « الفاشستية » تبدو خطراً لا يمكن تجاهله على نفوذ بريطانيا في حوض البحر الأبيض المتوسط ؛ وحوالى ذلك الوقت ظهرت قوة جديدة كان على إنجلترا أن تحسب لها حسابها ، فكان لظهورها أثر كبير في مؤازرة قضية العروبة في فلسطين ، تلك هي قوة الشعوب العام المشترك بين الشعوب العربية بالوحدة في الأهداف والمصير ، والتجاوب لما يصيب أيّاً منها من خير أو شر ؛ فإنه في ذلك التاريخ تمكنت تلك الشعوب من أن تحتّم مرحلة في حياتها ، كانت كل منها في خلالها مشغولة بشئونها الداخلية وما يقتضيه واجب كسب ممركتها ضد قوى العدوان والرجعية ، منذ أن داهمها الاستعمار في نهاية الحرب العالمية الأولى وفور انهيار الدولة العثمانية ، فكانت تلك الفترة مابين عامي

١٩١٨ - ١٩٣٦ الفرصة الثمينة التي التي اغتنمها الاستثمار والصهيونية لتنفيذ مؤامرتهم في فلسطين . ولكن منذ سنة ١٩٣٦ بدأت مرحلة جديدة في حياة شعوب الشرق العربي ؛ فإن سوريا ولبنان تمكنتا من عقد معاهدة مع فرنسا ١٩٣٦ اعترفت فيها الأخيرة لهما بالاستقلال والسيادة مع بعض القيود ، كما تمكنت مصر من عقد معاهدة مع إنجلترا في نفس العام كانت على كل حال خطوة كبيرة نحو تحقيق أهدافها التامة في الاستقلال والسيادة ، وبرزت شخصيتا هاتين الدولتين المريبتين على مسرح السياسة العالمية ؛ وكان العراق قد أخذ يتمخض عن ثورات عنيفة ضد الاستثمار تحت زعامة مليكه الفتى « غازي » ويتوثب حيوية وغيره على قضية المروبة ، وكان قد أصبح لشرق الأردن صوت مسموع في تقرير مصير السياسة الدولية فيما يختص بالشرق الأوسط ، كما أن الحجاز كان قد انتهى من تثبيت دعائم دولته التي بدأت منذ عام ١٩٢٦ حين انتهى عهد أسرة « الأشراف » من مكة ، وعقد صلحه مع اليمن عام ١٩٣٥ واعترفت مصر بحكومته في عام ١٩٣٦ ، وأخذت الدولة السعودية الجديدة الغنية بثرواتها البترولية الطائلة ، التي اكتشفت حديثاً ، تظهر عاملاً قوياً في محيط السياسة العربية .

كل هذه الأحداث والتطورات — مع خوف إنجلترا على مصيرها في أثناء الحرب العالمية التي كانت ستهد قريباً — أرغمت إنجلترا ، بعد أن يئست من أن تحل القضية بتقارير لجانها التي ألفتها (فإنها كانت قد حولت تقرير « بيل » إلى لجنة الانتدابات بعصبة الأمم ؛ وهذه بدورها طلبت موافقتها ببيانات عن طريقة تنفيذ المقترحات ، فاضطرت الحكومة الإنجليزية إلى تأليف لجنة أخرى برئاسة « وود هد » ، قدمت تقريراً آخر في نوفمبر ١٩٣٨ اقترحت فيه مشروعات أخرى للتقسيم . ثم قررت إنجلترا أنها كلها مشروعات غير قابلة للتنفيذ ، وأعلنت إعراضها عما ورد بالتقارير — أرغمت تلك التطورات إنجلترا على أن تشرع في خطة جديدة ، وأن تعترف بقوة الرأي العام العربي ، الذي أخذ يعلن استنكاره — بكل قوة — لسياسة بريطانيا الجائرة ، وجعل قضية فلسطين قضية للشعوب العربية جميعاً .

فإذ استمرت الاضطرابات عبر سنتي ١٩٣٧ - ١٩٣٨ قررت إنجلترا أن تدعو

إلى عقد « مؤتمر المائدة المستديرة » في لندن في أوائل عام ١٩٣٩ ، الذي دعت إليه زعماء وممثلي الدول العربية جميعها ، وتظهرت بأن غرضها السعى للتوفيق بين العرب واليهود ، فدعت إليه ممثلي اليهود أيضا ، تبحث الأمر مع كل فريق على حدة . عقد « المؤتمر » في سان جيمس بلندن (يناير — مارس ١٩٣٩) ، وكان اجتماع مندوبي الدول العربية : مصر ، العراق ، سورية ، لبنان ، شرق الأردن ، الحجاز ، اليمن ، وفلسطين ، النموذج الأول لاجتماع « الجامعة العربية » التي كانت ستنشأ بعد بضع سنوات — وكان اجتماعا رائعا — كما أنه كان في دعوة إنجلترا لهم ومفاوضة حكومتها معهم الاعتراف شبه الرسمي بقوة العالم العربي .

وفي المقال الأخير سنبين تطور القضية منذ مؤتمر المائدة المستديرة وصدور « الكتاب الأبيض » ١٩٣٩ إلى نهاية الحرب الفلسطينية ١٩٤٩ . وفي خلال هذا الدور الأخير حدث تطور خطير : فإن أمريكا قد حلت محل إنجلترا في معاضدة الحركة الصهيونية ، وصار اليهود يعتمدون على أمريكا بدلا من إنجلترا ، فأصبحت أمريكا العامل الأول المؤثر في سياسة الشرق الأوسط ، وأكبر خطر يهدد أمن وحياة الشعوب العربية والإسلامية ، فهي تقف الآن موقف العدو الأول للعروبة والإسلام معاً .

حسن الخلق

نادى المأمون خادمه يوماً قائلاً : يا غلام ، فدخل عليه وهو يقول : أما ينبغي للغلام أن يأكل ويشرب ؟ كلما خرجنا من عندك تسميح : يا غلام يا غلام . فنكس الخليفة رأسه طويلاً ثم قال : إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خادمه ، وإن ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خادمه ؛ ولا نستطيع أن ننسى أخلاقنا لتحسن أخلاق خادمنا .

حول السياسات الاقتصادية

الأستاذ عيسى عبده إبراهيم

أستاذ إدارة الأعمال بكلية التجارة بجامعة إبراهيم

(٤)

« انتهينا فيما تقدم إلى القول بأن الربا والفائدة من المترادفات ، وأن الربا يهدم بعض أركان الإنتاج ، وأن الاعتماد على فرض الاستغلال هو نوع من التبذل أو ضرب من القهر . وأن فرض الاستهلاك غريب عن الإسلام ، وأن القروض في شتى صورها هي من وسائل الاستثمار الصليبي . . . وهذه حلقة رابعة من هذا الحديث » .

مدى خطورة البحث :

لا ترجع أهمية الموضوع الذي نعالجه إلى مجرد التدليل على ما غاب عنا من حكمة بالغة في تحريم الربا ، بل ترجع إلى هذا القلق الذي نعيش فيه ، والضيق الشديد الذي نعمانيه ويعانيه العالم معنا ، بشعوبه الغنية والفقيرة ، والمتقدمة والمتخلفة ، من تردد واضطراب بين المذاهب الاقتصادية المتعارضة والتيارات الفكرية التي يشتد تلاطمها في وقتنا الحاضر ، إلى حد ينذر بالفتن الداخلية والعالمية .

ولقد دُفعنا هنا في الشرق الإسلامي ، وبخاصة في مصر ، إلى محاولة الملاءمة بين النصوص الصريحة المانعة للمعاملات الربوية ، وبين ما نتوهمه من ضرورة ملحة للخلاص من هذا الحرج . فنحن كأمة مسلمة نقف الآن في مفترق الطرق ، فإما تخلف عن ركب الحضارة الحديثة إذا نحن حافظنا على التراث القديم ، وإما إهدار لهذا التراث وتسكر له بوصفه قيذا ثقيلا ، لعلنا نلحق بالقافلة .

ولما كانت هذه الحضارة المادية الحديثة تقوم على الصيرفة ، أو تعتمد عليها لتيسير حركة الأخذ والعطاء في التجارة الداخلية وفي المعاملات الدولية ، فقد تعين علينا أن نختار بين التسليم بالأوضاع الغربية لنكون عصريين ، أو أن نقاومها باستماتة حتى لا تكون فتنة تأتي على ما بين أيدينا من تراث نعتز به .

غير أن الواقع يخالف هذه الصورة القاتمة . . . فالمشكلة أقل من أن نضيق بها إلى هذا الحد . وكل ما في الأمر أننا لم نتوفر على النظر في بعض الآيات الكريمة بالبحث العلمي ، وجاوزنا القصد في تقليد الغرب والحقاق بفباره والإيمان بنظرياته . ولم نحفل كثيراً بأن هذا الغرب يمشى بغير مثالية أو هدف كريم .

ومن المؤسف حقاً أننا لا نزال في هذا الغي سادرين ، وأنها نحرص على الاستزادة من آثار الغرب على علائها ، ونقبل نظرياته وقوانينه على أنها القول الفصل .

تقدم بهذا التنبيه بين يدي حملة صريحة سافرة على بعض نظريات الغرب التي تؤمن بها جمهرة المثقفين بالثقافة الغربية ، وتعمل على إذاعتها في الكتب والمحاضرات ، وفي الأوساط الرسمية . . . فقد وصلت بنا الحال إلى درجة العبودية لهذه النظريات . مع أنها تنطوي على الجهالة والضلال جميعاً . وزاها تكاثرت حتى غابت الأسس والأصول في غمار من الفروع والتفصيلات . هذا خطر شائع في كل بحث يعرض له الكاتب ، ولكنه في السياسات الاقتصادية قد احتل مكانة ممتازة ؛ لأن بحوث الاقتصاد تتناول الثروة وإنتاجها وتوزيعها ، وهذه وثيقة الصلة بشئون المعيشة واضطراب الخلق في غدوهم ورواحهم . وليس ضواباً أن تكلف عامة الناس وأوساطهم بأن يقنعوا بالمعاني السامية وهم يرون غيرهم يسرفون . . . ولهذا ظهرت في الغرب حركات اقتصادية من أواخر القرن الثامن عشر ، وهي لا تزال بسبيلها إلى التطور والانتشار في شدة بالغة وفي تشعب وتعارض يملك على الكاتب والقارئ جميعاً مذاهب التفكير والتأمل ، إلى حد أن القضايا الكلية ، والنظريات الأساسية قد تغيب عنه . وكلما زاد من التأمل في التفصيلات وتياراتها المتعارضة ، زاد بعده عن الأساس ، وتمذر عليه الحكم الصحيح على المشكلة واقترح حل لها .

الربا دائماً :

هذه الحلقات المتتابعة لا تعدو أن تكون كلمات مرسلة حول السياسات الاقتصادية . ومع ذلك لا نزال نبدي ونعيد حول الربا ، فهل هو قضية كلية أم هو فرع ثانوي من بحث أكثر شمولاً ؟

ولقد سبق القول في حلقات نشرتها لنا مجلة « المسلمون » بأن الربا أساس كل اضطراب في المعاملات الاقتصادية ، فيما بين الأفراد ، وفيما بين الشعوب أيضا . وعندنا أنه من القضايا الكلية التي بنيت عليها المعاملات . وهذه الإشاعة الساخرة الفادرة للمعاملات الربوية كجزء من الفلسفة الاقتصادية الغربية ، لا تجيء عفوا ولا مصادفة ؛ وإنما هي جزء من خطة صليبية أساسها التضليل ، وهدفها قهر الشعوب الغنية واستنزاف مواردها .

ولكي نستين هذا المعنى ، سنحيط بالموضوع من أطرافه أولاً ، ثم نقرب تدريجاً من المحور الذي تدور عليه المعاملات لتحقيق أهداف الغرب في بلادنا ، وسنبداً ببعض المصطلحات المشهورة ، التي يكاد الحديث عنها يكون قولاً معاداً ، لنرى إلى أي حد نحن نساير الغرب في جهالته ، ونزداد آراءه مؤمنين بها ، مع أنها لا تستهدف إلا صرفنا عن النسق البديع والسنة العظيمة اللذين أرادهما لنا المولى سبحانه .

ومن الخير أن نناقش هنا بعض الآراء المسلم بها والشائعة في أوساطنا العلمية والرسمية .

توزيع الثروة بين الشرق والغرب :

فلننظر إذن إلى هذه الأرض التي نعمارها ، ولنتأمل كيف أن الخالق عز وجل لم ينشئها بغير نظام يلائم بين مفردات عناصرها ويربط ما بين أطرافها وفقاً لقوانين ثابتة لا تتحول ؛ ففي الأرض يابسة وماء ، وفيها أجواء تتفاوت بين التجمد عند القطبين والانصهار عند خط الاستواء . وقد أراد الحق تبارك وتعالى أن يبعث بالرسول في أغنى البقاع ، وأن يدعو عباده إلى السير في منابكها والاستمتاع بما تحفل به من خيرات هي من صنع الله . . .

فلننظر إذن إلى المنطقة المعتدلة الشمالية ، وما تحتها من استواء ، ثم المنطقة المعتدلة الجنوبية ، نجد أن هذا الجزء من العالم برا وبحراً هو المترك الخالد منذ تراحم الناس على الطيبات . ففي هذه الرقعة الممتازة من الأرض ، بحار دافئة ، وأرض قوية

تسلطت عليها الشمس آلاف السنين ، أوفى عصور متعاقبة كقول علماء الجيولوجيا ، فأما البحار الدافئة فتجرب فيها الفلك بالأرزاق على مدار السنة دون عقبه من صقيع أو جليد ، وأما القشرة الأرضية فقد أخذت من الشمس ، ولا تزال ، قوة على الإنبات فائقة الحد ، وغنيت بالحقول والغابات والأحراش ، وإذا اهتزت الأرض أو مرت بها عوامل التفرية ، فإن الغابات تطمر ، والأخشاب تنضج في بطن الأرض على مر الدهور ، فيتواجد الفحم ، ثم تنقلص القشرة الأرضية مرة أخرى أو مرات ، فتقتصر الفحم وغيره من المواد المطمورة ، وهكذا يتوافر الزيت . كما قد يطول القدم ببعض عناصر الفحم ، فإذا بها تشف عن أحجار صافية تتخذها حلية وزينة ، كل هذا يجري تحت القشرة الأرضية الدافئة وإن علتها رمال صافية تشع بالفقر والوحشة .

فأين هبط الوحي ؟ ومن أى بقعة فى الأرض خرجت الرسل ؟

بحسبنا هنا أن ننظر إلى الرسالة المحمدية كيف بدأت وكيف انتشرت إلى بحر الصين شرقا ، وإلى المحيط الأطلسى وجبال البرانس وأرض الغال غربا ؟ لقد انتشر الإسلام إذن فى أعظم بقاع الأرض شأننا وأحفلها بأسباب القوة . لا ليكون الإسلام حربا على الجنس البشرى بقوة الحديد والنار ، بل ليكون سلاما فى الأولى والآخرة ، وليدرا عن أهله طغيان الجاهلية إذا هى تحركت من جديد . ثم إننا أعطينا مفاتيح البحار ، فكانت لنا البواغيز جميعا وبغير استثناء ، ونهنا فى صراحة وتكرار إلى الفلك التى تحمل الطيات والأرزاق بأقل نفقة عرفها الإنسان . ولا نحسب أن العلم يأتى بجديد فى هذا الأمر .

هذه هى رقعة البلاد الإسلامية ، التى يقال الآن صراحة وفى لجاجة صفيقة بأنها بلاد فقيرة تحتاج إلى رؤوس الأموال الأجنبية ، وإلا بقيت متخلفة عن ركب الحضارة . ولنضرب الأمثال بوطفنا الأصفر ، وهو وادى النيل .

فى هذا الوادى شماله وجنوبه يجود القطن لأن هذا النبات لا ينضج إلا على قدر من الحرارة معلوم وموزع على موسم الزراعة ، ويقدر أن يلزمه من ساعات الضوء والحرارة بنحو ٢٤٠٠ ساعة ، وهذه لا تتوافر إلا فى وادى النيل . وبالتالى فإن قطنه

ممتاز ، وسيظل كذلك ، لأن سنة الله في أرضه باقية ، ولأن تدخل الإنسان بعقله وعمله لا يزيد ولا ينقص من خلق الله ، وإنما يحسن أو يسيء الانتفاع بالموارد المتوافرة بين يديه . وفي هذا الوادي من الشجر والثمر ما ينفي أهله ، وما تتطلع إليه شعوب البلاد المحرومة ، كالبصل والثوم ، والحبوب ، والبلح والصمغ . . الخ . وفي هذا الوادي ، ذهب خالص وهو قوة شرائية لا ترفض في المبادلات لأن وجوده نادر نسبيا ، وفيها المنجنيز والميكا ، وفيها الحديد والصلب وما يصلحهما من العوامل المساعدة في الإنتاج ، وفيها الوقود الذي تسمى إليه الأمم الصناعية . . . في وادي النيل البترول وفي سيناء كذلك ، بصرف النظر مؤقتا عن الأقطار الشقيقة المجاورة وهي ليبيا وتونس .

فما هو الرأي الذي ينبغي لنا أن نجعله لأنفسنا ولأبنائنا ؟ هل نقول بأن الشرق الإسلامي فقير بائس يطلب العون من الغرب القريب والبعيد ؟ أم نقول بأن الأمة الإسلامية تعيش في أغنى البقاع ؟ .

قد يُعترض على هذا القول بأن الفقر الذي نحن فيه قد حل بساحتنا عن جدارة واستحقاق ، لأننا نطأ الثروة ولا نعلم شيئا عن خصائصها ولا وسائل استنباطها والانتفاع بها . وهذا صحيح ولكنه خارج عن نطاق البحث ؛ إذ مناط القول هنا هو المراجعة بين أمرين : توافر الثروة في أراضى المسلمين أو نضوبها ، سواء أكان هذا النضوب حادثا أم قديما . أما تقصير الأمة الإسلامية عن عبادة الله في أرضه بالتعرف على آثار خلقه ، والتمكن منها وتسخيرها في رفع كلمة الله ونشر المثالية الواحدة التي أشرقت بها السموات والأرض ، وهي التوحيد . . . فسألة نسلم بها . ولكن التقصير في التعرف على ما عندنا والتمكن منه ، ليس معناه أننا فقراء ، ولا معناه أن أرضنا هذه لا ممالك لها فهي نهب مباح لكل قرصان أو قاطع طريق .

هذه هي الدعوى الأولى التي تثيرها في مواجهة الرجل الأبيض ، وأنصاره من المتأثرين بثقافته ، وتتلخص في أن الثروة هي مجموعة الطيبات التي تتوافر فيها خصائص معينة ، من شأنها إشباع حاجات الناس . وأن هذه الطيبات هي من خلق الله لا من صنع البشر ، وأنها متوافرة في الشرق الإسلامي وفرة هائلة تسمح للأمة

الإسلامية بالعيش الكريم ، كما تسمح لها بحشد ما ينبغي من قوة ومن رباط الخيل ، حتى تدفع القهر الذي عانته ، حين انصرفت عن القيم المعنوية والقيم المادية جميعا ، وظنت أن سنة الله في الأرض لا بد أن تتحول بحيث يرزق القاعد عن الكسب ، ويمز المستضعف المتخاذل ، وهيهات .

فالقول إذن بأن مصر لا ينصلح لها حال إلا إذا اقترضت عاجلا من الغرب خمسمائة مليون جنيه ، على أن تتمها إلى ألف مليون في بضع سنوات ، هو قول تافه صغير ؛ لأن الغرب ما كان ليتجشم مشقات السفر ومخاطره ويرضى بالبعد عن الأهل والوطن ، لولا أنه يعلم بأنه ها هنا في الشرق وتحت أقدام المسلمين المعادن والوقود . ومن بعض الأقطار الإسلامية كأندونيسيا تستخرج نسبة عالية من الخامات النادرة ، مثال ذلك ثلث المطاط . ومن هذا القطر الإسلامي وبعض الجزر القريبة منه يستخرج معظم النحاس والقصدير . . . وهكذا .

وبالتالى تكون لهفة الغرب على الإقامة هنا بيننا راجمة إلى حاجته ، لا إلى تفضله بالقرض والإعانة والتوجيه .

إذن نحن لا ننصف أنفسنا إذا ردّدنا فيما بيننا ، أو علمنا أبناءنا أن مصر أو نظائرها من الأقطار الإفريقية والآسيوية الواقعة في المجالات المعتدلة ، تفتقر إلى معونة الغرب وقروضه . هذا ضلال مقصود به توهين العزيمة وإذلال النفس .

ومما يلفت النظر أن الغرب لا يذهب في الضلال إلى المدى الذى يذهب إليه المستضعفون من المقلدين .

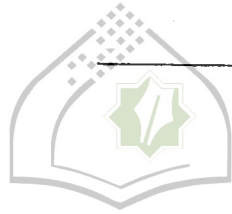
يقول الغرب بأن بلاد الشرق الأوسط وبعض المناطق التى أشرنا إليها فيما تقدم متخلفة اقتصاديا ، أو يقول بأن استغلال مواردها مقصر عن الدرجة المناسبة underdeveloped ولم يزعم الغرب بأن بلادنا قليلة الثراء ، وأنه يتصدق علينا بالقروض .

ومع ذلك يقول أصحاب رأى والفكر عندنا بأنه ما لم نفتح أبوابنا لرؤوس الأموال الأجنبية والقروض المستوردة من الخارج فإن الفقر مقيم عندنا . ولما كانت الأموال الأجنبية التى يدعونها لغزو هذه البلاد ، تنتظر منا كرم الوفاة وبعض

الرعاية . . . ولما كانت الامتيازات البغيضة قد بدأت في صور متواضعة من كرم الضيافة وتفضل المضيف ، فإن هذا الذي يقولون به من حاجة بلادنا إلى القروض ، حتى وإن كان صحيحا ، ينطوى على خطر بالغ ، فكيف والحق غير ما يقولون ؟ فما بنا من حاجة إلى رؤوس أموال أجنبية ، ولا قروض مستوردة . . .

ولكن ما هو رأس المال وقد جاء مقترحها هذا الحديث الذي يدور حول الثروة وما تتألفه من طيبات تشبع الحاجات ؟ .

(الحديث موصول)



مركز تحقيقات كميوير علوم إسلامي

العفو

وقعت دماء بين حيين من قريش فأقبل أبو سفيان فما بقى أحدٌ واضعاً رأسه إلا رفعه .

فقال : يا معشر قريش ! هل لكم في الحق أو فيما هو أفضل من الحق ؟

قالوا : وأي شيء أفضل من الحق ؟

قال : العفو .

فتبادر القوم واصطلحوا .

أيها المحلفون !

لا . . الله لا الملك !

(٦)

رئيس المحكمة : يجب أن تكف وليس لك أن تستمر .

محمد علي : إنني إنما أفعل ما يسمح لي به القانون . إن القانون يقول بأن ليس لي أن أدعو الجنود للتخلي عن واجبهم ، وأنا أقول ليس من واجب الجندي المسلم أن يقتل أخاه المسلم ؛ ولي هنا أن أناقش هذه القضية إلى الأبد ، فما دمت بسبيل إيضاح وجهة نظري فإن لي هذا الحق . امنعوني هذا الحق وأنهبوا هذه الهزلة . ما جدوى هذه المسرحية ؟ ! خذوا فريقاً من الرماة ليعدمونا في الحال ؛ وإذا شئتم إتمام فصول هذه الرواية الهزلية ، كما نكوناً بعد موتنا كما فعل اللورد نلسن من قبل ؟ إنني أقول : إن شيئاً لا يجبر إنساناً على مخالفة تعاليم دينه حتى الواجبات العسكرية . رئيس المحكمة : ليس ذلك في موضوعنا .

محمد علي : إنني أوضح تعاليم الإسلام ، وقد قدمت ذلك في مذكرتي للمحكمة الابتدائية ؛ إن ذلك في صميم الموضوع . رئيس المحكمة : اجلس مكانك .

محمد علي : إنني لم أناقش بعد المادة ٥٠٥ ، ولم أتعرض بكلمة للاتهام بموجب المادة ١١٧ ، فهل يُحكم علي دون أن أقول فيهما شيئاً ؟ . رئيس المحكمة : لن أسمح لك بحق الكلام .

محمد علي : أرني جملة واحدة في كتب القانون التي لديك تخولك مني ذلك الحق ! لقد حرمتني حقاً إذ لم تسمح لي بتقديم مذكرة للمحلفين ضد الادعاء ، والآن تريد أن تكفني عن مخاطبة المحلفين . إن لك أن تعترض على قسم معين من مرافعتي

فتقول : دع الكلام في هذا ، ولكن أنى لك أن تمنعني ألبتة بقولك : لن أسمع لك بحق الكلام ؟ !

رئيس المحكمة : (يردد قوله) اجلس لن أستمع إليك .

محمد علي : أظن أنك مخول قانوناً حتى تمنعني ذلك الحق ؟ إن القانون يقول : إنها لا تبلغ لتكون جريمة ما دامت في حدود الاستثناء الذي ذكر . . .

رئيس المحكمة : و . . .

محمد علي : لا بأس عليك بشأن « و . . . » إنني إنما أناقش صحة البيان ولم أناقش بعد أمر « النية والقصد » فيه .

رئيس المحكمة : لن أستمع إليك .

محمد علي : إنني على أى حال أخطب المحلفين ، وليس لك أن تمنع المحلفين حقهم ، فإن عليهم أن يعطوا رأيهم فيما إذا كنت مذنباً أو غير مذنب ، وذلك بمقتضى القانون الذى يقول (يقرأ) وأنا لا أستطيع أن أحل كلامك محل القانون . . . كلا ! إنني لا أعتبر كلام أحد أمام النص الواضح فى القانون .

رئيس المحكمة : ناقش قضيتك .

محمد علي : إنها ليست قضيتكم هى التى أناقش (ضحك) حسناً أبها السادة المحلفون . . .

رئيس المحكمة : لن أستمع إليك .

محمد علي : لك ألا تسمع إلى كما فعلت من قبل أكثر من مرة . لقد نمت أثناء جزء طويل من فترة تلاوتى للمذكرة ، ولك أن تنام الآن . أما المحلفون فلا بد لى من مخاطبتهم .

رئيس المحكمة : (غاضباً) ألا تجلس ؟ !

محمد علي : فإن لم أفعل ؟ . . .

رئيس المحكمة : أضعك تحت الحراسة !

محمد علي : دونك وما تريد ! . . .

(مدير البوليس يدعى ليجلس المتهم ولكنه يتراجع دون أن يمسه ويتركه)
واقفاً . المحكمة تأمر المحضر لينادى على المتهم رقم ٢ مولانا حسين أحمد صاحب
المحضر ينادى ولكن مولانا حسين أحمد لا ينبس ببنت شفة أو يتحرك قيد شمرة)
محمد على : (غير مكترث بتصرف المحكمة) الآن أيها السادة المحلفون ...
رئيس المحكمة : لا تقاطع المحكمة .

محمد على : إننى لا أقاطع المحكمة ، بل الحق أنكم أنتم الذين تقاطعوننى .
لا بدلى من مناقشة ذلك الاستثناء والبحث فيه . أبطلوا التهم الموجهة بموجب
المادة ٥٠٥ والمادة ١١٧ إن شئتم حتى أكف عن المرافعة ، فإن لكم أن تعدلوا
فى الاتهام حتى النهاية .

رئيس المحكمة : لا أستطيع أن أسمح لك بشرح القانون الدينى هنا .
محمد على : إننى إنما أشرح القانون الأرضى كما تدعونه لا القانون الدينى .
إننى أبين للمحلفين أن البيان الذى أعلنه مشتملاً على القرار حق لأنه مستند إلى
القرآن والحديث .

رئيس المحكمة : لا لزوم لذلك .
محمد على : إن الذى يقدر الضرورة أنا لا أنت . إنك لم تكف المدعى
العام عن مرافعته إذ كان يثبت ما يراه ضرورياً ، أفلا تدعى أثبت ما أراه أنا
ضرورياً ؟ إننى لا أحب أن أخلق المنافرات ، فلست هنا لهذه الغاية ، ولا أود أن
أكون عنيداً صفيق الوجه ؛ ولكنى لا أرضى باهتضام حقوقى .
رئيس المحكمة : ولكنك تستغرق وقتاً كثيراً طويلاً جداً .

محمد على : لقد وعدتني أمس بنصف ساعة تسمح لى فيها بالبحث اليوم
فى تفوق الشريعة الدينية قبل مناقشة النقاط القانونية ووقائع القضية . إننى أقول
إن الدين يُستثنى فى كل الأحوال . والآن على أن أثبت فى مناقشة القانون الأرضى -
المادة ٥٠٥ - أنه ممنوع شرعاً الخدمة فى الجيش وأن ذلك حقيقة صادقة ينطبق عليها
الاستثناء فى المادة ٥٠٥ .

رئيس المحكمة : افترض اعتبار صدق ذلك .

محمد علي : ليمتبر صدقه المحلفون ، وليقرأوا بذلك كتابةً . قولوا إن هذا الأمر قد ثبت لنا حتى أدع هذا الموضوع دون مناقشة ، واسألوا المدعى العام إن كان يرى أنى محق بذلك .

المدعى العام : نحن نقرر أن الآيات التي وردت في المذكرة التي تليت على المحكمة الابتدائية من القرآن .

محمد علي : إنى أريد أن تقرروا زيادة على ذلك أن هذا البيان الذى اتهمت بسببه بموجب المادة ٥٠٥ موافق للقرآن والسنة .
المدعى العام : لا نستطيع إقرار ذلك .

محمد علي : إذن فعلى إثباته . لنفرض أن مسيحياً اتهم فى إصدار بيان عن عقيدته فى الآب الأب والرب الابن والرب الروح القدس . إنه حينئذ يحتاج بإثبات صحة بيانه من العقيدة المسيحية ويقول : إننى أثبت ذلك من التوراة والإنجيل وأبينه من رسائل الحوارين وكتاب الصلاة . أترون أن ليس له الحق أن يفعل ذلك ؟ ! أأكون — أيها المسلم — قاضياً عادلاً إن منعه ذلك ؟ أظنون أننى أعدل إذ أمنعه أن يثبت أن بيانه صحيح عن التثليث فى العقيدة المسيحية ؟ !
رئيس المحكمة : (يومئ برأسه) اجلس مكانك .

محمد علي : لا أجلس أو تعتبروا بيانى صحيحاً ! إننى لا أود أن أكون عنيداً أو لجوجاً بغير سبب ، ولكنى على أى حال أريد الوقوف على حقى غير منقوص .

رئيس المحكمة : إنك تضيع وقت المحكمة .

محمد علي : إننى لا أضيع وقت أحد ، إنما أريد إقناع المحلفين أن البيان صحيح .

رئيس المحكمة : ذلك لا يهم .

محمد علي : ذلك مهم جداً فى نظرى . إنه فى غاية الأهمية عندى أن يثبت

للسادة المحلفين أن البيان متفق والقرآن والحديث وأنه ليس من ابتداعى . . .
وما القضية بعد كل هذا ؟ ! إني لا أطلب الحماية لجريمة قتل اقترفتها ، ولا لتحريق
بيت تيممته ، ولا لنهب أقدمت عليه . إن القتل تنتفى عنه صفة الجريمة حين يأمر به
القائد ، والنهب يصبح سائفاً عندما يدعو إليه القائد . وهنا في هذه القضية ، ليس
القتل جريمة ما أمر به القرآن ؛ وعلى ذلك فم عندما أعزو شيئاً إلى القرآن ، فإن لك
أن تقول : أرني ذلك .

رئيس المحكمة : افرض أننا نقبل ما تقول جدلاً .

محمد علي : أريد أن تقبلوا قولي لكل الاعتبارات . قد أدع المناقشة
بالمرة في أمر القصد والنية في هذه المادة إذ أنني لا أتكلم دفاعاً عن نفسي أيها السادة ،
ولكن لا بد من أن أثبت أن هذا البيان صحيح . لقد واجهت نفس الصعوبة عند
صديقي مستر مونتاجو (Montague) إذ قال : إني ياسيد محمد علي لا أدخل في مناقشة
بشأن عقيدتك . ولكنى دعوته إلى ذلك ، ولقد دمت عيناى عندما قلت له إنه
ليس مما يسرنى مخاصمة الحكومة ، وقد أحترم تلك الدموع فشرحت له الشريعة
الإسلامية في الخلافة وكان عليه أن يصنى . ولقد شرحت شريعة ديني لمستر لويد
جورج أيضاً ، وكذلك لبعض أعضاء البرلمان الآخرين ، فلم يقولوا لا دخل لنا فيما
ينص عليه القرآن .

إني أريد أن أثبت أن هذا بيان صحيح وليس لكم أن تمنعوني هذا الحق
في الإثبات ، فهل تسمحون ؟ ؟

رئيس المحكمة : فقط إذا شئت أن تفعل ذلك بصورة مختصرة جداً
(القاعة تضحك بالضحك)

محمد علي : ولم لم تقولوا ذلك من قبل ؟ ! طبعاً سأفعل ذلك بصورة مختصرة ،
بل في غاية الاختصار ! !

(يتبع)

دستور الضرائب

بين الفكر الإسلامى والنظريات الغربية

للاستاذ الدكتور محمد فتواد إبراهيم

المدرس بكلية التجارة بجامعة القاهرة

يمثل دستور الضرائب مركزاً هاماً فى مؤلفات المالية العامة ، لما له من شأن عظيم ومكانة خطيرة ؛ فهو الدستور الذى ينبغى أن تسير الحكومات على هديه عند وضع أنظمتها الضريبية وتنظيم طرق الجباية والتحصيل ، بل هو صمام الأمان الذى يدفع عن جمهور الممولين تعسف عمال الجباية ، ويشفع لهم قبل أداة التشريع إذا ما جانبت القواعد العامة .

فلا غرو والحال هذه أن يتساءل المرء عن أحكام هذا الدستور : وهل هى نصوص جمعها تقنين واحد أسوة بدساتير الدول ، أم أنها مجرد قواعد متناثرة لم يجمع شملها بعد ؟ ليس دستور الضرائب فى الواقع إلا مبادئ وضعها الكتاب ، وتناولها الشراح بالبحث والتفصيل ، لا سيما وقد أصبح بعضها مثار جدل طويل فى المجالس التشريعية الغربية ؛ حتى لقد أدت مناقشتها فى بعض الأحيان إلى قيام الثورات ، وإلى تعديل أسس الحياة البرلمانية كما حدث مثلاً فى إنجلترا وفرنسا . بيد أنه على الرغم من أهمية هذه المبادئ فإنها ظلت حتى وقتنا الحاضر أفكاراً مجردة ، يتناولها الكتاب فى مؤلفاتهم ، وتشير إلى بعضها الحكومات فى مشروعاتها الضريبية ، دون أن يعنى أولو الأمر بجمع هذه الأحكام وتضمينها صلب دستور الدولة ، أو فى الأقل المبادرة إلى إصدار تشريع خاص بها يكون مرجعاً للأداة التشريعية فى شئون الضرائب . ولعل قاعدة لا ضريبة إلا بنص ، ولا إلغاء ضريبة إلا بتشريع — وهى القاعدة التى وردت فى الدساتير المختلفة — كافية لتبيان أهمية تضمين الدستور مثل هذه القواعد ، وعدم الاكتفاء بقاعدة يتيمة من القواعد التى تنظم حقوق الخزانة ، كما تضمن حقوق الممولين فى مادة الضريبة .

فدستور الضرائب لم يخرج عن نطاق النظريات التي قالت بها طائفة من شرار الغرب أمثال آدم سميث وفاجنر ومونتسكيو وباستابل وغيرهم . ومن ثم فإن هذا الموضوع ما زال في حاجة إلى كثير من البحث الذي قد يجمع بين أشتات النظريات المتضاربة التي جاء بها كتاب الغرب ، كما أنه قد يضيف ما سوف يتكشف عنه فرض الضرائب في المصور الحديثة من أفكار جديدة . وإن كنا ندعو في هذا المقال إلى استئناف البحث في أحكام دستور الضرائب ، وصيغته بصيغة تسار مقتضيات الزمان والمكان ، فإننا مع ذلك سوف نتجة اتجاهها آخر لعلنا نسهم — ولو بقسط يسير — في إزاحة الستر عن كثير من الحقائق والنظريات المالية التي خلفها لنا الإسلام تراثاً مجيداً ، وإن كنا حتى وقتنا هذا قد اتسمنا بالقصور في الكشف عن مكنوناته والاستفادة من غزير مادته .

لعل من الأمور التي قد يعجز المنطق السليم عن تفسيرها ما يلاحظ من انصراف الغرب إلى التراث الإسلامي يبحث في جوانبه عن المعرفة الصادقة ، حتى إذا ما عثر علماءه على ما ينشدونه ، سارعوا إلى الأخذ به ، في حين يفض الشرف الطرف عن كنوزه ، فلا غيره تدفعه إلى إخفائه عن غيره ، ولا همة تحفزه على الارتواء من هذا المهمل المذهب والاستزادة من تعاليم الفكر الإسلامي . فلا عجب إذن أن نشير في مصر إلى نظريات فاجنر وآدم سميث إذا ما تحدثنا عن دستور الضرائب ، ولا نشير ألبتة إلى آراء العرب وأحكام الإسلام ؛ كأنما العرب قوم لا نمت لهم بصلة ، والإسلام دين نتبعه وتناسى أنه ليس ديناً فحسب ؛ بل هو دين ودولة . ولعمري إن الإسلام زاخر بالنظريات العلمية وغيرها ، وإنك لتجد في مؤلفات المسلمين كثيراً من القواعد العامة التي تنظم فرض الضرائب وتحصيلها .

وسنمرض هنا لبعض هذه القواعد ونقارنها بنظريات الغرب على نحو ما هو متبع في وقتنا الحاضر ، هادفين من وراء ذلك إلى إظهار روعة الفكر الإسلامي في الموضوعات المالية عامة ، ومسائل الضرائب خاصة . ومن ثم نتحدث عن قاعدة العدالة بادئ ذي بدء ، ثم ننتقل منها إلى قواعد الملاءمة والمرونة واليقين ، حتى إذا أوفيناها حقها من البحث ، استطعنا في النهاية أن نرسم صورة واضحة للعالم لما عليه دستور الضرائب في الإسلام .

١ — قاعدة العدالة :

تختلف الدولة عن الهيئات الخاصة والأفراد من حيث أنها تقوم بتقدير مصروفاتها ، ثم تعتمد بعد ذلك إلى البحث عن مصادر الإيراد التي تكفل سد الحاجات العامة . ولا ريب أن الضرائب من الموارد الأساسية التي تستعين بها الدولة على تغذية الخزانة العامة . والدولة إذا ما سمت إلى فرض الضرائب تراها تتبع بعض القواعد التي تتفق وظروف المولين ؛ فقد يلجأ الشخص المعنوي العام إلى الضرائب الشخصية أو يؤثر عليها الضرائب العينية ، كما أنه يحصلها عادة بالنقد وإن كان هذا لا ينفي جبايتها عينا في بعض الحالات .

ومهما يكن من أمر ، فإن الدول الغربية قد سارت تطور الحضارة ، فانتقل نظامها الغربي من نظام ضريبة المظاهر الخارجية إلى الضريبة العينية ، وسائر ركب الأفكار الحديثة فأخذ أخيراً بنظام الضريبة الشخصية التي يعدها الشراح أكثر الضرائب عدالة وأقربها إلى المساواة . والضريبة الشخصية عند الغرب — وفي نظامنا الضريبي المصري — تتميز عن غيرها في أنها تراعى الأعباء العائلية وتمغى حد الكفاف وتُفرض على أساس سعر تصاعدي . ولا يخفى أن هذه المميزات التي تقابلها في نطاق ضرائب الدخل تؤدي إلى فرض الضريبة على أساس مقدرة كل فرد على الأداء . وبذلك تتمكن الدولة من توزيع عبء الضريبة توزيعاً عادلاً ، فيدفع الغني بقدر ثرائه ، ويمغى الفقير رحمة به .

فعدالة الضريبة يتفهمها الغرب على أنها المساواة في التضحية ، وتقدمها النظريات الغربية في صورة التصاعد الذي يقترن بمراعاة حالة الممول الشخصية .

ولقد يبدو للبعض أن هذه القواعد التي أتى بها الغرب مزيدة في نوعها ، وأن الأخذ بها إنما جاء بعد أن تداولتها أبحاث الشراح وأدخلت عليها من التعديلات ما يسائر ظروف الحضارة التي نعيش بين جوانبها في وقتنا الحاضر . بيد أن هذا الظن بعيد عن الواقع ، فلقد عرف العرب هذه القواعد منذ أيام الإسلام الأولى ، وعرض لها خلفاء المسلمين عرضاً صريحاً فيما كانوا يرسلونه من الكتب إلى ولايتهم في بقاء

الدولة الإسلامية . ولئن تكشفت هذه الكتب من حقيقة ، فإنما تكشف عن الجانب الشخصي في ضرائب الإسلام .

ولما كان القضاء بشخصية الضرائب الإسلامية لا يكفي دون إقامة الدليل على ذلك ، فإن الأمر يقتضى أن نعرض في هذا القام لبعض فقرات هذه الكتب التي كان يوجهها الخلفاء إلى ولاية المسلمين . ولا مرأ أن هذه الفقرات تسهم بقسط وافر في إقامة صرح دستور الضرائب في الإسلام .

كتب أبو إسحاق الصباح عن الخليفة « الطائع لله » ^(١) إلى نجر الدولة بن ركن الدولة بن بويه في جمادى الأولى من سنة ست وستين وثلثمائة : (... وأمره أن يتخير عماله على الأعشار والخراج والضياح والجهنزة والصدقات والجوالى من أهل الظلف والنزاهة والضبط والصيانة والجزالة والشهامة ، وأن يستظهر مع ذلك عليهم بوصية يوعيا أسماعهم وعهود يعلوها أعناقهم بأن لا يضيعوا حقاً ولا يأكلوا سحتاً ولا يستعملوا ظلماً ولا يفارقوا غشماً . . . وإلى جبة « حجاجم » أهل الذمة أن يأخذوا منهم الجزية في المحرم من كل سنة (بحسب) منازلهم في الأحوال وذات أيديهم في الأموال ، وعلى الطبقات المطبقة فيها ، والحدود المهودة لها ، وأن لا يأخذوها من النساء ، ولا ممن لم يبلغ الحلم من الرجال ، ولا من ذى سن عالية ، ولا ذى علة بادية ، ولا فقير معدم ، ولا مترهب متبتل ، وأن يراعى جماعة هؤلاء العمال مراعاة يُسرّها ويظهرها ، ويلاحظهم ملاحظة يخفيها وييديها : لئلا يزولوا عن الحق الواجب أو يعدلوا عن السنن اللاحب ، فقد قال تعالى : « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً » ^(٢)) .

ولم يخرج عن هذا المعنى ما كتب بأمر الله عهد أمير المسلمين يوسف من تاشفين بسلطنة الأندلس وبلاد المغرب ، بعد العشرين والأربعمئة حين قال : (وإلى جبة حجاجم أهل الذمة يأخذ الجزية منهم في كل سنة على قدر ذات أيديهم في الضيق والسعة ، وبحسب العادة المألوفة المتبعة ، ممتنعين عن مطالبة النسوان ، ومن لم يبلغ الحلم من الرجال ، ومن علت سنة عن الاكتساب وتبتل من الرهبان ، ومن غدا فقرة واضح الدليل

(١) من خلفاء بني العباس .

(٢) كتاب صبح الأعشى للرافشندى - الجزء العاشر ص ١٥ - ٣١ .

والبرهان ، وفاء بالمعهد المستول ، وتلقيا لأمر الله تعالى بالقبول حيث يقول :
« وأوفوا بالمعهد إن المعهد كان مستولا ^(١) » .

إن هذه الفقرات من كتب الخلفاء في عصور الإسلام المتباينة خير برهان على ماوصل إليه المسلمون من شأن رفيع وحكمة بالغة في وضع أسس العدالة الضريبية ، وما يقطع يبراعتهم في انتهاج السياسة المالية العادلة . ولعلها كافية الدلالة على أن الإسلام توسع في عناصر الشخصية فسبق ما توصلت إليه النظريات الغربية بأشواط ، وأخذت به التشريعات المقارنة الحديثة . فنظام ضرائب الدخل في وقتنا الحاضر يقوم على أساس تخفيف عبء الضريبة عن رب الأسرة الذي يعول أولاده ، ومن ثم حددت القوانين الضريبية معياراً خاصاً لا يتجاوز الإعفاء حدوده ، بل لقد اقتصر في معظم التشريعات على الأولاد دون غيرهم من الأفراد الذين قد يعولهم رب الأسرة . أما عن الإسلام ففرى عمال الجباية في عصوره يمتنعون عن تحصيل الجزية من النساء ومن لم يبلغ الحلم من الرجال ، ومن الفقير المعدم والمترهب المتبتل . وفي هذا برهان ساطع على أن المبادئ الإسلامية لم تُعنْ بالمقدرة على الدفع فحسب ، بل جاوزت هذا المعيار إلى النواحي الإنسانية .

ولقد عرف الإسلام هذا الكفاف وجعل لكل من الزكاة والجواري والخراج سعراً خاصاً يحصل على أساسه . ومصادق ذلك ما كتب به النبي صلى الله عليه وسلم إلى عمرو بن حزم حين وجهه إلى اليمن فأمره : « بأن يأخذ من المغانم خمس الله ، وما كتب على المؤمنين في الصدقة من المقار عشر ماسقت المين وسقت السماء ، وعلى ماسقى الغرب نصف العشر . وفي كل عشر من الإبل شاتان ، وفي كل عشرين أربع شياه . وفي كل أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع جَذَعٌ أو جذعة ، وفي كل أربعين من الغنم ساعة وحدها شاة ، فإنها فريضة الله تعالى التي افترض على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له . وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاماً خالصاً من نفسه ودان بدين الإسلام ، فإنه من المؤمنين : له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته ، فإنه لا يرد عنها وعلى كل حالم :

(١) من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي ، الجزء العاشر ، ص ٤١ .

ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينار وافي أو عَوْضه ثياباً ، فمن أدى ذلك فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً^(١) .

ولقد جرى الإسلام على ألا تؤخذ زكاة على ما هو أقل من خمس إبل ، كما لا يؤخذ على ما هو أقل من ثلاثين بقرة من البقر السائمة^(٢) .

وقال ابن ممتى فى « قوانين الدواوين » إن الجوالى وهى ما يؤخذ من أهل الذمة عن الجزية المقررة على رقابهم فى كل سنة ، كانت فى زمانه على ثلاث طبقات : عليها هى أربعة دنانير وسدس عن كل رأس ، ووسطى وهى ديناران وقيراطان ، وسفلى وهى دينار واحد وثلاث وربع دينار وحبثان من دينار .

وأورد ابن ممتى فى قوانين الدواوين أيضاً أنه فى زمانه كان الوجه القبلى فى مصر أكثر خراجه غلال من قمح وشعير وحمص وفول وعدس وبسلة ، ويؤخذ عن خراج كل فدان من الأصناف المذكورة ما بين إردبين إلى ثلاثة بكيل تلك الناحية ، وربما زاد أو نقص عن ذلك ، وفى الغالب يؤخذ مع كل أردب درهم أو درهمان أو ثلاثة ونحو ذلك ، بحسب قطائع البلاد وضرائبها فى الزيادة والنقص فى الأرداب والدرهم ، وربما كان الخراج فى بعض هذه البلاد دراهم . وما بار من أرض كل بلد يباع ما نبت فيه من المرعى مناجزة ، وربما أخذ فيه العدد على حسب عرف البلاد . والوجه البحرى غالب خراج بلاده دراهم^(٣) .

« يتبع »

(١) من كتاب صبيح الأعشى لافلقشندي ، الجزء العاشر ص ١٠ ، ١١ .

(٢) سياسة الإسلام فى الدولة لأبى بكر العروسى التونسى ، ص ٢٢ — ٢٦ .

(٣) من كتاب صبيح الأعشى لافلقشندي ، الجزء الثالث ، ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ .

القائد الفاتح الأحنف بن قيس

للأستاذ السيد محب الدين الخطيب

(٢) *

الأحنف يحطم المجوسية بخراسان :

خرج الأحنف إلى خراسان ، فأخذ على مهرجان قذق ، ودخل خراسان من الطبسين ، فافتتح (هراة) عنوة ، واستخلف عليها سحاراً العبدى ، وتقدم إلى (مرو الشاهجان) ليطفىء نار المجوسية ويلقى يزدجرد فى معقله . وعند اتجاهه إلى مرو أرسل مطرف بن عبد الله بن الشخير بجيش إلى نيسابور ، والحارس بن حسان بجيش إلى سرخس ، بينما كانت جيوش الكوفة تحاصر (جى) . ولما نزل الأحنف حول (مرو الشاهجان) انسحب منها يزدجرد إلى (مرو الروذ) وكتب من هناك إلى خاقان ملك الترك وغوزك ملك الصفد يستمدهما ، وإلى ملك الصين يستعينه . فلما علم الأحنف بانسحاب يزدجرد إلى مرو الروذ ، جعل حصار مرو الشاهجان إلى حارثة ابن النعمان الباهلى وهو من أخواله ، وضم إلى من اختارهم من جيشه أربعة ألوية من جيوش الكوفة ، وخرج بهم نحو مرو الروذ ليلقى يزدجرد ، فلما دنا منها هرب هذا الجبان الدساس قاصداً (بلخ) فنزل الأحنف على مرو الروذ أياماً لينظم حصارها وأرسل وراء يزدجرد إلى بلخ الألوية الأربعة من جيش الكوفة ، ثم لحق هو أيضاً بهم بعد تنظيم حصار مرو الروذ ليدركهم فى بلخ ، فوجدهم سبقوه إلى لقاء يزدجرد وهزم الله قواته ، وهرب يزدجرد بمن معه من الفرس إلى النهر — آخر حدود خراسان — فكان فتح بلخ من فتوح أهل الكوفة ، أما بقية بلاد خراسان فكلها من فتوح الأحنف بجيوش البصرة وأكثرهم من تميم ، ولا سيما رجال سعد بن زيد مناة رهط الأحنف .

وكتب الأحنف بفتح خراسان إلى عمر ، فعاد عمر إلى الندم على ما فعل ، وقال :

(*) نشر القسم الاول من هذا المقال القيم فى العدد التاسع من السنة الثانية من « المسلمون » .

« لوددت أنى لم أكن بعثت إليها جنداً ، ولوددت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار » (الطبرى ٤ : ٢٦٤) وكتب في جوابه إلى الأحنف : « أما بعد فلا تجوزنّ النهر ، واقتصر على مادونه . وقد عرفتم بأى شئ دخلتم خراسان (يريد التقوى والإخلاص لله) فداوموا على الذى دخلتم به خراسان يدم لكم النصر ، وإياكم أن تتغيروا فتتفضوا » .

ترى هل كان عمر يقول ذلك لأن الله أراه مثل الرؤيا التى رآها يزدجرد وهو يجوز المخاضة إلى مكان طهران ؟ أم أنه يطيل التفكير فى الأحاديث النبوية عن المشرق ؟ وعلى كل حال فإنه كان متشاكاً من هذه الفتوح فى كل أطوارها .

أما مكانة الأحنف فكانت هى مكانته ، وقد قال عمر لما أتم الله على يد الأحنف هذا الفتح الأعظم « إنه الأحنف ، وهو سيد أهل المشرق المسمى بغير اسمه » .

اتحاد الترك والفرس على قمع الإسلام :

واستجاب ملكا الترك والصفد لاستمداد يزدجرد ، فأعدا له الجيوش من الترك والتتار ، فلما انهزم إلى أرضهم فيها وراء النهر كانت الأمداد قادمة عليه ، فانتعش بذلك وأعاد تنظيم رجاله ، وارتد إلى أرض خراسان بقوة همجية جمعت إلى ظلمات الكفر الشراسة وروح الفتك والظفان . وكان الترك من أيام الأكرسة ممنوعين من دخول أرض فارس (ولا بن مسكويه فى كتابه « تجارب الأمم » بيان مستفيض عن ذلك وعن أسبابه) فلما أبيع للترك دخول أرض فارس لقتال العرب دخلوها بشراسة وهمجية فظيمة . وكان عددهم أضعاف أضعاف المجاهدين من المسلمين . فلم يكن للأحنف بد من لقاء الملوك الثلاثة : يزدجرد ، وخاقان ، وغوزك ، رغم قلة من معه من أبطال الحرب . وكان الأحنف قد اختبر قبل ذلك حرب الفرس وعرف كيف يذل كبرياءهم ، إلا أنه وجيوشه يجهلون إلى ذلك الوقت أساليب الترك فى الحرب ، فرأى أن يختبر ذلك بنفسه على رأس طليعة من أصحابه ؛ فطاف فى الليل حول معسكر خاقان ، فلما انبلج الفجر خرج فارس منهم بطوقه وضرب بطبله ، نفرج له الأحنف واختلفا طمعتين ، فطمعنه الأحنف وهو يقول :

إن على كل رئيس حقا
أن يخضب الصعدة أو تندقا
إن لنا شيخا بها مُلقًى
سيف أبي حفص الذى تبقى
وبعد قليل خرج له فارس آخر من الترك فطمنه الأحنف وهو يرتجز .

إن الرئيس يرتبى ويطلع
ويمنع الخلاء إما أربعوا
ثم خرج له ثالث فطمنه الأحنف وهو يقول :
جرى الشموس ناجزأناجز
محتفلا فى جريه مشارز

وانصرف الأحنف إلى معسكره ولا يعلم أحد بما فعل ؛ وكان من عادة الترك أن لا يخرجوا للقتال حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم على نحو ما وقع . فلما خرجوا بعد الثلاثة فرأوهم صرعى ، تشاءم خاقان وتذكر ما كان يسمعه عن انتصارات العرب وأنهم لا يغلبون ، فانصرف إلى بلخ وتبعه الصفد ، ومنع الأحنف جيوشه من اتباعهم . ووقع الخلاف بين يزدجرد وقومة فكان هو يريد اللحاق بخاقان ومعه الأموال ، وهم يريدون التفاهم مع العرب . فضى يزدجرد إلى فرغانه والترك فأقام عندهم مدة عمر ، وبقيت الأموال مع الذين أرادوا مصالحة العرب فكان للإسلام من ذلك خير عظيم ، وكان للفرس من عدل العرب ما لم يسبق له نظير فى التاريخ .

الانتفاض :

ولما وصلت الأخبار إلى خراسان بمؤامرة الهرمزان فى المدينة واغتيال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب انتفضوا ، وكفر من أسلم منهم ، وكانت البلاد فى سلم ، والجيوش تتجاهد فى آفاق أخرى ، فاحتاجت إيران إلى فتح جديد . وعاد الأحنف فى مدة عثمان إلى استئناف بطولته ، إلا أنه فى هذه المرة كان على علم بمسالك خراسان ومواطن القوة والضعف منها ومن أهلها ؛ فكان عظيما فى كل ما دونه التاريخ من حوادث جهاده .

الفتح الثاني لخراسان :

وكان هذا الفتح الثاني وولاية العراق لعبد الله بن عامر بن كرز الأموي ، وكان شابا في الخامسة والعشرين من عمره . فلما تقرر استئناف فتح خراسان قسمت البلاد إلى ست جهات حربية ، كان الأحنف قائد جهة منها وفيها قلب هذه البلاد (مرو والشاهجان) و (مرو الروذ) وكان ذلك في سنة ٣٠ للهجرة . وعرف الأحنف كيف يرغم (مرو الروذ) على الخضوع له بأسرع مما أخضعها في المرة الأولى سنة ١٨ ، فكتبوا له يطلبون الصلح . وإن كتبهم ووثيقة الصلح التي كتبها لهم الأحنف أوردتها الطبري في تاريخه (٥ : ٨١ - ٨٢) مروية عن التابعي الجليل ابن سيرين زميل الحسن البصري . ولا حظنا في أسماء الشهود أسماء مجاهدين من بني تميم بقسميهم (بني عمرو وبني سعد) مما دل على أن الأحنف كان يومئذ سيد الشعبين جميعاً . ودلت الوثيقة أيضاً على أن من أصفياء الأحنف الذين ارتضاهم للتوقيع على شهادة الصلح اثنين من قبيلة مازن بن مالك بن عمرو بن تميم التي قتلت أباه وجعلته يتيماً ، وهما حميد بن الحيار المازني وحمرة بن الهرماس المازني ؛ فالإسلام أصنى قلوب الجميع وجعلهم أصفياء في الله . ولا حظنا في هذه الوثيقة أيضاً أن ختم الأحنف كان منقوشاً عليه (نعبد الله) .

موقف عسكري حرج :

وكان الأحنف في هذا الفتح الثاني على رأس قوة خفيفة في طخارستان لا تزيد على أربعة آلاف مجاهد ، فأقبل حتى نزل في موضع سمى فيما بعد باسم (قصر الأحنف) فوجدوا أن أهل طخارستان والجوزجان والطاقان والفارياب أعدوا له بعد استرداده (مرو الروذ) ثلاثة زحوف في ثلاثين ألفاً . فإذا يصنع أربعة آلاف عربي أمام هذه الزحوف ؟ صلى الأحنف العشاء الآخرة ودعا إلى خيمته أهل الرأي من قادة هذا الجند القليل واستشارهم ، فأشار بعضهم بالانسحاب إلى مرو الروذ ، وخشى بعضهم أن يستضعفهم أهل مرو الروذ فينقضوا الصلح فأشار بالانسحاب إلى (آبر شهر) ، واستنكر بعض أهل الرأي فكرة الانسحاب وأشاروا بالثبات والاستمداد بسرعة من المعسكر العربي العام ، وأيد آخرون هذا الرأي وزادوا عليه أنه إذا أبطأ عليهم المدد يناجزون العدو مستميتين حتى ينال الشهادة آخر من يبقى منهم .

وصرف الأحنف مستشاريه إلى خيامهم ليناموا ، وقام يصلي ويدعو الله ، ثم أخذ سيفه ، وقام يمشى في أنحاء معسكره ، فرأى خيمة فيها نور و نار ، ورجلا يقول لأصحابه وهو يوقد النار تحت طعام لهم : الرأي للأمير أن يسير - إذا أصبح - حتى يلقى العدو فيناجزهم فإنه أربح لهم ، وآخر يقول : إن فعل الأمير ذلك فقد أخطأ ، أتأمرونه أن يلقى العدو مصحراً في بلادهم بعدد قليل لعدد كثير فإن جال جولته اصطلمونا ؟ لكن الرأي له أن ينزل بين قرية المرغاب والجبل فيجعل المرغاب عن يمينه والجبل عن يساره ، فلا يبقى مجال لعدوه - وإن كثروا - إلا أن يلقوه بعدد أصحابه ، لأن خط القتال لا يتسع لأكثر من ذلك . وفي الصباح المبكر كان الجيش العربي يحتل ذلك الموقع بين المرغاب والجبل . وقبل أن يبدأ القتال وصل إليه رسول من أهل مرو الروذ يذكرون أنهم مستعدون للنجدة وفاء بما شرطوا على أنفسهم في عهد الصلح ، فقال لهم : إني أكره أن أستنصر بغير جنودي ، فأقيموا على ما أعطيناكم فإن ظفرنا فنحن على ما جملنا لكم ، وإن ظفروا بنا وقاتلوكم على وفائكم لنا فقاتلوا عن أنفسكم .

ونشبت المعركة في النصف الثاني من النهار وصبر الفريقان حتى أمسوا ، والأحنف يقاتل وهو يتمثل بشعر ابن جؤية الأعرجي :

أحق من لم يكره المنية
حزورٌ ليست له ذرية

واستمر القتال ليلاً حتى ذهب عامة الليل ، ثم هزم الله هذه الجوع ، وأعمل بنو تميم فيهم سيوفهم حتى انتهوا من مطاردتهم إلى (رسكن) وهي على بعد ١٢ فرسخاً من قصر الأحنف . ويروي الأديب الكبير المفضل الضبي عن أبيه أن الأحنف بعث الأقرع بن حابس في جريدة خيل إلى بقية الزحوف فأظفروه الله بهم ، وفي ذلك يقول كثير النمشلي :

سقى وزنُ السحاب إذا استهلّت

مصارعَ فتية بالجوزجان

إلى القصرين من رستاق خوط

أقادهم هناك الأقرعان

يحتقرون الذهب :

وبعد أن استتب الأمر للأحنف في (مرو الروذ) واصل زحفه إلى (بلخ) وافتتحها صلحاً على أربعمائة ألف درهم في السنة ، فندب الأحنف ابن عمه أسيد بن الشمس لقبض المال بعد جمعه ، وتقدم بتحسس لجهاذه ميادين أخرى . وانتظر ابن عمه في بلخ ، فخلّ عيد المهرجان (عيد النار) وهو هناك ، فبعد أن تسلم منهم الجزية الرسمية المتفق عليها ، جاءوه بهدايا شخصية من آنية الذهب والفضة ، وبدنانير ودرهم ومتاع وثياب ، فسألهم أسيد .

— وهل هذا مما صالحناكم عليه ؟

قالوا : لا . ولكنه شيء نقدمه في مثل هذا اليوم من كل عام لمن يتولى أمرنا نستعطفه به .

فأجابهم : إنني أكره أن أردّه ، ولعله من حق . ولكنني أعزله حتى أنظر . . . وقبضه وقدم على الأحنف فأخبره بما وقع ، فسأل الأحنف أعيان البلاد عن ذلك فقالوا : هي هدية اعتدنا تقديمها لمن يلي أمورنا في هذا اليوم من كل عام . فتوقف الأحنف عن أخذها وحملها إلى القائد الميام عبد الله بن عامر بن كرز ، فقال له ابن عامر : اقبضها يا أبا بحر ، فهي لك .

قال الأحنف : لا حاجة لي بها .

ف رأى ابن عامر أن الهدية لا تردّ ، وأمر أحد رجاله بأن يضمها إلى الأموال الرسمية ، وجعل شكره لله على هذا الفتح أن يخرج محرماً من نيسابور إلى مكة ، فلامه أمير المؤمنين عثمان على ذلك ، وقال له : كان ينبغي لك أن تحرم من الميقات الذي يحرم منه الناس .

الانتقاض الثاني لخراسان واستردادها :

وفي السنة التالية (٣٣ هـ) تلقى عبد الله بن عامر بن كرز خبر انتقاض خراسان مرة ثانية ، فرمى بها الأحنف بن قيس للمرة الثالثة ، فقاتلهم قتالاً شديداً اضطروا بعده إلى الاستسلام ، وفتح الله له مرو الشاهجان ومرو الروذ الفتح الثالث .

في خلافة أمير المؤمنين علي :

وكان الأحنف عند وقوع الشهادة لأمير المؤمنين عثمان سنة ٣٥ في الحج ،
 فيايع للخليفة الراشد الرابع أمير المؤمنين علي ، إلا أنه رأى أن قتال أم المؤمنين
 وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر شديد ، وأن قتال ابن عم رسول الله صلى
 الله عليه وسلم شديد أيضاً ، فاعتزل بالجلحاء على فرسخين من البصرة ، واعتزل
 معه ستة آلاف من تميم . وفي صفين كان مع أمير المؤمنين علي ، فلما صفا الأمر لمعاوية
 كان الأحنف مع الجماعة .

حياته السلمية :

للأحنف سيرة في سلمه أنبل وأعظم من سيرته في حربه . وفيها من الوقائع —
 التي تدل على حكمته ، وعلى صلاحه ، وعلى أنه كان ركناً في الأمة — ما لا تتسع لبيان
 صفحات كثيرة ، ولعل أعود للكلام عليه في فرصة أخرى .

ولو اتسع المجال لعرض حياته السياسية بعد عرض حياته الحربية لكان حقاً لي
 أن أقول إن أمثال الأحنف كانوا في دولتهم في مقام نواب الأمة وشيوخها في
 زماننا ، وهم في ذلك المقام يسمون باصطلاحنا الإسلامي (أهل الحل والعقد) ، ولم
 يكونوا ينتخبون بالأساليب والوسائل التي كان ينتخب بها الشيوخ والنواب ، ولا
 الذين يرفعونهم إلى تلك المنزلة كالذين كان لهم حق الانتخاب للشيوخ والنواب ، بل
 كان لأسلافنا طرق أخرى لبلوغ تلك المرتبة ، وعماد الكفاية لذلك (الأخلاق) ،
 والأخلاق لا ينبغ المتفردون بها كالأحنف إن لم يكن لهم أساس من أخلاق الجمهور ،
 ولا يكون هذا إلا بالرجوع إلى الإسلام وأساليبه الاجتماعية وكيانه الخلق .

فهل في علمائنا من يتفرغ لدراسة هذه الأمور إلى جانب دراسة تاريخ العروبة
 والإسلام لنتمكن من بعث ذلك الماضي فنسترد به وبأخلاقه مكانتنا في الأرض ؟ .
 إن هذا ليسير جداً إذ نحن أردنا .

إِذَا بَدَأَ عَلَيْكَ حَقٌّ

بإشراف اللواء الدكتور أحمد الناقه

- س ١ : بنته صغيرة الحجم لم تبلغ الثامنة تنزل دما ، فهل هو حيض ؟
ج ١ : قد يحدث الحيض المبكر مصحوبا بمظاهر البلوغ أحيانا . ولكن يجب الفحص الطبي فقد يكون للتزيف أسباب أخرى مثل : جسم غريب في المهبل ، ورم ، مرض في الدماغ أو الكلى .

- س ٢ : ما علاج فقر الدم الشديد في الحامل ؟
ج ٢ : الغذاء الجيد والأدوية التي تحتوى على الحديد والفيتامين وحقن الجير مع علاج أى مرض كامن .

- س ٤ : يسمع جده ضجة (وشا) في أذنيه فما السبب وما العلاج ؟
ج ٤ : هذه الضجة كثيرة في كبار السن ولا ضرر منها . وسببها قلة الدم الجارى في الشرايين المتصلبة في جهاز السمع . وربما أفادت بعض الأدوية التي توسع الأوعية الدموية . وقد تحدث هذه الضجة في أى سن مع استعمال بعض العقاقير : سليسلات . ستربتوميسين . كينا . وغيرها ، فإذا تركت زالت الضجة .

- س ٥ : طالبة جامعة يعترها الصداع والحمول وضيق الصدر كلما عكفت على مذاكرة دروسها وقد تدوخ . فهل هى مريضة بالقلب ؟
ج ٥ : ليست هذه أعراض مرض القلب ، ولكنها أعراض نفسية لا ينفع فيها الدواء ، وإنما يفيدها حل متاعبها ومشكلاتها بعد بحث ظروفها المنزلية والجامعية والم عاطفية .

س ٦ : طال مرض القلب على ولده ، وعجز عن نفقة الغذاء بلحم الدجاج ، والدواء الغالى . يريد حلاً .

ج ٦ : أدخله مستشفى يعالج فيه بالحقن أو بأجر زهيد ، أو صرح الطبيب المعالج بغير الغذاء والدواء على قدر طاقتك المالية وبما يناسب حالة المرض ؛ وكثيراً ما ثبت أن الغذاء البسيط والدواء الرخيص أجدى على المريض وأدعى للشفاء .

س ٧ : ضعيف البنية استعمل الأدوية والحقن القوية سنتين ولم يستفد .
ج ٧ : لا يمكن أن يؤخذ العلاج المناسب حولين بلا فائدة إلا أن يكون في البدن أمراض أخرى كأمنة تعوق الشفاء ، فأعد الفحص الطبى .

س ٨ : أصيبت زوجته بالتدرن الرئوى (السل) وعولجت بالمستشفى وعادت بعد شهوور إلى المنزل بصحة جيدة ، هل تمتد العدوى إليه وإلى الأولاد ؟
ج ٨ : لا خوف من العدوى إذا ثبت أن البصاق خال من جرثومة الدرن ، وما دامت مستمرة في حقن الهواء في عيادة أمراض الصدر ، فإذا ظهرت جراثيم المرض في البصاق لزم عزل المريض في غرفة مستقلة إذا أمكن ، والاحتياط عند البصق والسعال حتى لا يتلوث جو المنزل ، واتباع إرشاد عيادات الصدر وأطبائها .

س ٩ : يخشى جراحة البواسير لأنه مريض بالقلب .
ج ٩ : أغلب مرضى القلب يحتملون الجراحات الكبرى ، ولكن يجب علاج هبوط القلب قبل الجراحة ، ويحسن عدم إجراء الجراحة بعد سن الخمسين وبخاصة مع تصلب الشرايين عامة وشرايين القلب خاصة .

س ١٠ : هل استئصال اللوزتين ضرورى للأطفال وهل هو ضار بالكبار ؟
ج ١٠ : اللوز حارس الزور من الجراثيم ، وما دامت سليمة فلا يجوز استئصالها . أما إذا مرضت وضعفت عن المقاومة واحتلتها الجراثيم فاستئصالها واجب في الصغار والكبار على السواء ، وإلا كانت مصدراً دائماً لأمراض شتى تستعصى على العلاج .

بَابُ الْكِتَابِ: نَفَذٌ وَتَعَرُّفٌ

١ - قصص النبيين للأطفال ، للأستاذ أبو الحسن الندوى .
مطابع دار الكتاب العربى سنة ١٩٥٤ ، ١٢٤ صفحة
من القطع المتوسط .

لا بد للأطفال من غذاء للعقل والماطفة والإحساس ، فضلا عن غذاء الجسم ،
والعناية بذلك الضرب من الغذاء نراها شديدة لدى الأمم التى ترى فى الأطفال رجال
المستقبل وعدته ، وصديقنا الأستاذ أبو الحسن الندوى يوجه لهذه الناحية قسطاً كبيراً
من وقته وجهده الذى وقفه على الشؤون الإسلامية بعامة .

ويشهد الذين سمعوا بمعرفة الأستاذ معرفة شخصية ، أو عرفوه من كتاباته
أنه رجل داعية للإسلام من الطراز الأول ، وأنه « يعيش بالإسلام وللإسلام على فقه
جيد للإسلام » ، كما يقول أخونا الفاضل الأستاذ سيد قطب فى مقدمة هذا الكتاب
الذى يسرنا تقديمه لناشئة الإسلام فى مجلته المحبوبة المباركة .

وهذا الكتاب حرى أن يكون مفيداً للصغار والكبار معا . وجزؤه الثالث
الذى بين أيدينا الآن يقوم على قصة موسى عليه الصلاة والسلام ؛ ففيه تحليل لعناصرها
واستخراج لما فيها من عبر وعظات وما أكرها ! كما فيه - كما يعبر الأستاذ سيد قطب -
توجيهات رقيقة وإيضاحات كاشفة لمرامى القصة وحوادثها ومواقفها ، وتعليقات
داخلة فى ثنايا القصة ولكنها توحى بحقائق إيمانية ذات خطر ، حين تستقر فى قلوب
الصغار والكبار .

وللأستاذ أبو الحسن الندوى ما يعرفه قراؤه الكثير من تعمق الإسلام ، ونفاذ
البصيرة ، وإشراق الأسلوب فى بساطة ويسر ، وبذلك ينفذ حقاً إلى القلوب والعقول ،
ويقع قارئه فى حيرة إن أراد أن يتخير من كتاباته ما يدل به على خصائص كتابها ،
فكل ما كتب خيار من خيار . ولهذا أجدنى حقاً فى حيرة إن حاولت هذا التدليل من
الكتيب الذى نقدمه بهذه الكلمة ، ولذلك أدع الأمر للقارئ يمتع قلبه وعقله وحسه
بقراءته كله .

ومع هذا أشير إلى ما جاء عن « الحق والباطل » (ص ٥٨-٦١) حيث اجتمع السحرة وموسى على مشهد من فرعون وملئه ، وحين أحسّ موسى عليه الصلاة والسلام بالخوف إذ رأى أفاعيل السحرة . ومع هذا ، فهو لم يخف على نفسه ، بل لأنه « ليس غلب موسى غلب رجل ، بل غلب دين أمام ملك ، بل هو غلب حق أمام باطل » .

وكذلك أشير إلى ما جاء عن مصير بنى إسرائيل بعد موسى (ص ١٢٣-١٢٥) حين أسخطوا الله الذى جعل فيهم أنبياء وجعلهم ملوكا وآتاهم ما لم يثوت أحدا من العالمين ، الله الذى أنجاهم من فرعون وجبروته ، وجعلهم أحرارا بعد أن كانوا أذلة مستعبدين ، فكان أن أسخط الله عليهم ، وما ظلمهم ولكنهم كانوا أنفسهم يظلمون . بارك الله فى حياة صديقنا الأستاذ أبو الحسن الندوى ، هذه الحياة الخصبه المثمرة المباركة ، وأفاد بما كتب ويكتب الإسلام وبنيه ، وآتاه ثواب المخلصين المجاهدين الذين صدقوا الله ورسوله .



٢ - الدين والدولة فى الإسلام ، للأستاذ مصطفى السباعى ، المطبعة الهاشمية بدمشق ، ٩٦ صفحة من القطع الصغير .

هذه الرسالة الثانية من سلسلة رسائل : « هذا هو الإسلام » ، وهو موضوع تمنيت منذ سنوات أن يتفرغ له بعض المختصين ، حتى يبين للناس الإسلام الحق وموقفه من المشاكل العالمية . وأخونا الفاضل الذى نصب نفسه لتجلية هذا الموضوع أهل لما تصدى له ؛ فهو متخصص فى هذه الناحية ، وأستاذ فى الشريعة الإسلامية . ولذلك نغتنب بهذه الرسالة ، كما أغتنبنا بسابقتها : نظام السلم والحرب فى الإسلام . وهذه الرسالة التى بين أيدينا تتناول موضوعا حيويا ، يشغل كثيرا من المفكرين وكثيرا من الشباب المسلم وغير المسلم فى البلاد العربية والإسلامية ، ولهذا تحتاج معالجته إلى أناة ورية وكثير من الحذر ؛ كما تحتاج إلى إحاطة بتاريخ مسألة فصل الدين عن الدولة فى المسيحية والعالم الغربى بعامة ، وإلى مقارنات لا بد منها بين الديانات الوحيية الثلاثة . ولكن وضوح الحق فى المسألة ، مما يعين على معالجتها فى شئ من اليسر من الناحية المسيحية والإسلامية على السواء .

وقد وثق الأستاذ الكاتب بما يتطلبه هذا البحث من خطوات ، ليصل به إلى نتيجة الطبيعية والمنطقية ؛ فهو يعرض أدلة من يقول بوجوب فصل الدين عن الدولة ثم يناقشها (ص ٥ وما بعدها) ، ويعرض لما مرت به المسيحية في أوروبا حتى انتهى رجال السياسة إلى تقرير الفصل بين هاتين السلطتين ، مبيناً الأسباب التي أدت إلى هذا الفصل (ص ١٥ وما بعدها) ، ومن هذه الأسباب نشوء طبقة رجال الدين ، وما صار لها من سلطة لا يداهاها سلطة أخرى ، حتى صار للبابا سلطة خلع الأباطرة أنفسهم و« حرم » من يشاء و« الففران » لمن يشاء (ص ٢٠ - ٢١) ، وبهذا أصبح فصل الكنيسة ورجالها عن الدولة أمراً محتوماً ولا بد منه لصالح الدولة نفسها .

وبعد أن وصل إلى هذه النتيجة الصحيحة ، نراه يعرض للمسألة في الإسلام ، فيبين أن الإسلام بمبادئه وتعاليمه والأسس التي يقوم عليها لا يجعل وجهاً لقيام هذه المشكلة بالنسبة إليه ؛ فالإسلام لا يعترف بوساطة ولا وسطاء بين الرب والعبد ، ولا يجعل غفران الذنوب إلا لله وحده ، ولا يعرف طبقة تسمى « رجال الدين » ، فالكل أمام الله سواء (ص ٣٥ وما بعدها) . بل إن الإسلام ، بهذه الدعائم التي قام عليها ، يجعل التعاون بين الدين والدولة أمراً لا بد منه ، والدليل على ذلك التاريخ الصادق أيام الراشدين والأمويين والعباسيين ، ثم أيام حكم المسلمين في الأندلس (ص ٦٦ وما بعدها) .

ثم ينتقل بنا الأستاذ المؤلف إلى مقارنات أخرى صحيحة بارعة بين الإسلام والمسيحية حول المسألة نفسها موضوع البحث (ص ٧٦ وما بعدها) ، ومن هذه المقارنات يتبين « أن ربط الدولة بالدين في أوروبا أدى إلى اضطهاد الفكر وخنق الحريات ، وقيام الحروب الدينية المفجعة ، وخضوع الناس لكابوس الخرافة والجهالة والبؤس . أما ربط الدولة بالدين في عصور الإسلام الزاهرة ، فقد أدى إلى انطلاق الفكر ، وحماية الحريات الدينية ، وإشاعة الرغد والسلام بين أبناء الديانات ، وتحرير الناس من أوهم الخرافات والشعوذة ، وتحقيق الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية بين أبناء الشعوب » (ص ٧٧ - ٧٨) .

ويختم الأستاذ بحثه بهذه الكلمة : قال المؤرخ الشهير المعاصر (هـ . و ل) :

« لا يزال للإسلام حتى يومنا هذا فقهاء ومعلمون ووعاظ ، ولكن ليس له كهنة ولا قساوسة » . فكان هذا أبلغ جواب لمن يدعو بيننا إلى إقصاء رجال الدين عن الحياة السياسية ، بأن هذه المشكلة ليست في الإسلام بذات موضوع (ص ٩٥ - ٩٦) .

هذا ، وقد عني الأستاذ الباحث عناية طيبة ببيان المراجع التي أفاد منها ، كما لم يقصر في الإفادة من المراجع الأجنبية .

وإذا كان لنا رجاء نتقدم به إليه فهو أن يعمل على تنمية ما اعتزم كتابته من هذه الرسائل ، ومراجعة التي بين يديه كفيلة بأن يكون عنها رسائل أوسع وأكثر استقصاء وبسطاً لهذه الموضوعات الحيوية ، وهل عذره هو الرغبة في عدم إملال القارئ ، وفي أنه يجب أن يتجه قبل كل شيء للشباب الذين يحبون الإيجاز والسرعة في كل ما يقرأون ؟ .

الدكتور محمد يوسف موسى



مركز بحوث ودراسات في العلوم الإسلامية

هكذا يقول البلغاء

* ط و س — طوَّس المصور : صوَّر الطواويس .

ومن المجاز : إن فلاناً لطاوسٌ إذا كان جميلاً .

ووجه مطوَّس . قال أبو صخر الهذلي :

ومطوَّس سهل مدامعه لا شاحب عارٍ ولا جَهْمٍ

وتطوَّست المرأة : تزينت . وعنده الطاوس أى الفضة بلسان اليمن .

وقال الجاحظ : الحمام يكسح بذنبه حول الحمامة ويتطوَّس لها أى يتنفَّس .

وتقول : كان خُلُق طاووس ، يحكى خُلُق الطاووس ؛ وهو طاوس اليمانيّ .

« الزمخشري »

مع العارفين

طاوس اليماني

[إني لأظن طاوساً من أهل الجنة]
« ابن عباس »

أما طاوس الفقيه ، فهو من يعرف رواء الفقه ... واحد من فقهاء المدينة السبعة الكبار ، ومن أجلة التابعين ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أندى الأحاديث التي تجد فيها ريح النبوة ؛ ولا عجب ، فقد اتصل بها عن طريق عدد من الصحابة نهلوا من نبعها الصافي الصريح . قال طاوس : « أدركت خمسين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

هو أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان ؛ أول الطبقة من أهل اليمن ؛ وكأنه جاء تصديقاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا كم أهل اليمن ، هم أرق أفئدة ، وألين قلوباً ؛ الإيمان يمان ، والحكمة يمانية . » (١) .

تجد فيه لين القلب ورقة الفؤاد .
وتحس فيه الإيمان الذي يحكم الأعصاب ويستولى على الجوارح .
وتلمس فيه الحكمة السهلة حية قريبة المنال .

أما لين قلبه ورقة فؤاده فتمثلها خشيته التي نصب لها من الظواهر العادية التي يمر بها أي إنسان فلا تحرك فيه ساكناً ، ولا يثير منظرها فيه خفقان قلب -- من هذه الظواهر العادية اتخذ طاوس لخشيته معالم تتصافر على تذكيره كل حين بالآخرة والحساب ، والنار والعذاب . قال عبد الله بن بشر : إن طاوساً اليماني كان له طريقان إلى المسجد ، طريق في السوق وطريق آخر ؛ فكان يأخذ في هذا يوماً وفي هذا يوماً ؛ فإذا مر في طريق السوق فرأى تلك الرؤوس المشوية لم ينمس تلك الليلة !
ويمثل طاوس الملمع من نار جهنم تمثيلاً طريفاً فيقول : لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة ، فلما خلق آدم سكنت أفئدتهم ...

(١) أخرجه الثلاثة والترمذي .

وإنه ليحاسب نفسه على أنين المرض يعتبره كلاماً يحاسب عليه فيقول : « ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا أحصى عليه حتى أنينه في مرضه » وهذا غاية الدقة في المقاييس التي أقامها لنفسه في مراقبة الله عز وجل .

ولعل هذه الخشية في طاوس أثر مباشر لحديث رواه طاوس نفسه عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى مَخِيلَةً^(١) تنير وجهه ، ودخل وخرج ، وأقبل وأدبر ، فإذا أمطرت سُرِّي عنه ، فذكرت له ذلك فقال : ما أمنت أن يكون كما قال الله عز وجل : « فلما رأوه عارضاً مستقبلاً أوديتهم قالوا هذا عارضٌ مُمطرٌنا ، بل هو ما استعجلتم به ريحٌ فيها عذاب أليم » .

إلا أن هذه الخشية التي تقضُّ المضجع وتنفي عن العين الكرى ، لا تقنع طاوساً ، بل لا يراها خشية ذات غناء . قال داود بن شابور : قال رجل لطاوس : ادع الله لنا . قال : ما أجد في قلبي خشية فادعوا لك !!

وهي خشية العارف التي لا تشوبها شائبة من خرافة ، أو تخامرها هنة من تطير . فقد روى أن رجلاً كان يسير مع طاوس فسمع غراباً فقال : خير ! فقال طاوس : أي خير عند هذا أو شر ؟ لا تصحبنى !!

وإذا أحببت أن تعلم دقة مقاييسه ورهافة حسه فاسمعه يحدثك : إن الملائكة ليكتبون صلاة بني آدم : فلان زاد فيها كذا وكذا ، وفلان نقص كذا وكذا ، وذلك في الخشوع والركوع ... إن لين قلبه ورقة فؤاده تجدها متجاوبة مع ما روى من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلاوة القرآن . روى عن ابن عباس « إن أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزن به » وعن ابن عباس أيضاً « سئل النبي صلى الله عليه وسلم : من أحسن الناس قراءة ؟ قال : من إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله » . وإذا عرفت أن طاوساً حج أربعين حجة ، علمت مقدار شغفه رضي الله عنه بهذا المنسك العظيم . ولقد كان يشهده في إقبال على الله وتمتع بعبادته . وإنك لتجد استمتاعه بالحج بيناً في قول ابنه عبد الله « كان سيرنا إلى مكة مع أبي شهراً ، فإذا رجعنا سار بنا شهرين ، فقلنا له في ذلك فقال : بلغني أن الرجل لا يزال في سبيل الله حتى يأتي بيته » وشدة تعلقه بهذا الضرب من العبادة تدلنا على مبلغ التضحية التي بذلها

(١) الخيلة : السحابة تخالها ماطرة لرعداء وبرقها .

قضاء لحق أخ له في الله احتاج رعايته في مرضه . حدث معمر أن طاوساً أقام على رفيق له مريض حتى فاته الحج !

كان رضى الله عنه وسيماً مشرقاً ، وكانت سيماه تنم عن فضائله ومزاياه . قال الزهرى مرة لسفيان بن يعمر : لو رأيت طاوساً علمت أنه لا يكذب .

وإذ روى طاوس حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه : « حق على كل مسلم أن يفتسل في كل سبعة أيام كإغتساله من الجنابة ، يغسل رأسه وجسده يجعل ذلك يوم الجمعة » تجده دائماً نقي البشرة نظيف الثوب ، بل إنه لا يطيق القذارة أن يراها في غيره . رأى طاوس رجلاً مسكيناً في عينيه عمش وفي ثوبه وسخ ، فقال له : عد ، إن الفقر من الله ، فأين أنت من الماء ؟ !

ومن شأن طاوس أنه كان يقوم الليل ولا ينام السحر قط . يحض على القيام فيقول : ألا رجل يقوم بعشر آيات من الليل فيصبح قد كتب له مائة حسنة أو أكثر من ذلك ؟ ويرى لما اعتاده من قيام السحر أنه أمر طبيعي لا يهمله إنسان ، فإذا عرف في الناس ترك ذلك قال متعجباً : وهل ينام السحر أحد ؟ !

هذه الصلة الوثيقة بالله مع المراقبة الدقيقة والخشية الدائمة ، جعلته في حصن من عزة المؤمن حصين ؛ وعند العارف كل ما دون جلال الله زيف وبهرج وهباء لا يأبه به ولا يلتفت إليه (وكل الذي فوق التراب تراب) قال سفيان : حلف لنا إبراهيم ابن ميسرة وهو مستقبل الكعبة : ورب هذه البنية ما رأيت أحداً الشريف والوضيع عنده بمنزلة إلا طاوساً .

وكما ازداد أحد منعمة في أسباب الدنيا ازداد هواناً في عين العارف البصير . حدث عبد الرزاق قال : « قدم طاوس مكة فقدم أمير فقيل له إن من فضله ومن ومن ... فلو أتيته . قال : ما لي إليه حاجة . قالوا : إنا نخاف عليك (أى إذا لم تأت) قال : فما هو إذن كما تقولون ! » .

وإنها لسنة ماضية أن يبتلى بالدينامن يمرض عنها ، ويمتحن بأهل الجاه والسلطان كل من هان عليه أهل الجاه والسلطان ، وقل من يفوز في هذا الامتحان . إن المنزلة العالية التي جعلها الله لخدمة العلم لا بد وأن تناسب منعمة العالم حيال المال المبذول لكم فيه ، والجاه الممنوح لاستغلال مواهبه وفتاويه . وقد نال طاوس في هذا المجال رتبة هياها لها تمرسه في تربية نفسه ، واتصاله الوثيق بربه ، ولم يقع في الشرك الذي نصبه له بعض الولاة ليحملوه على ما يريدون .

حدث النعمان بن الصنماني أن محمد بن يوسف أخا الحجاج بن يوسف (أو أيوب بن يحيى) بعث إلى طاوس بسبعمائة دينار أو خمسمائة ، وقيل للرسول : إن أخذها منك فإن الأمير سيكسوك ويحسن إليك .

نخرج بها حتى قدم على طاوس الجند^(١) فقال : يا أبا عبد الرحمن ، نفقة بعث الأمير بها إليك .

قال : ما لي بها من حاجة !
فأراده على أخذها ، فأبى أن يقبل طاوس . فرمى بها في كوة البيت ثم ذهب فقال لهم قد أخذها !

فلبثوا حيناً ثم بلغهم عن طاوس شيئاً يكرهونه فقال : ابعثوا إليه فليبعث إلينا بما لنا !
فجاءه الرسول فقال : المال الذي بعث به إليك الأمير .
قال : ما قبضت منه شيئاً .

فرجع الرسول فأخبرهم فمرفوا أنه صادق ، فقال : انظروا الذي ذهب بها فابعثوه إليه ، فابعثوه فجاءه وقال : المال الذي جئتكم به يا أبا عبد الرحمن .

— هل قبضت منك شيئاً ؟

— لا

— هل تعلم أين وضعته ؟ مركز تحقيق كميوتير علوم راسدي

— نعم ! في تلك الكوة .

— انظر حيث وضعته .

فمد يده فإذا هو بالصرة قد نبت عليها العنكبوت ، فأخذها فذهب بها إليهم !...
وقال ابن عيينة : قال عمر بن عبد العزيز (إذ كان والياً) : ارفع حاجتك إلى أمير المؤمنين — يعني سليمان بن عبد الملك — فقال طاوس : ما لي إليه من حاجة .
قال (عيينة) : فكأنه عجب من ذلك .

ولكنه لم يكن ليعجب لو سمع عطاء يقول : جاءني طاوس فقال : يا عطاء ، إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه وجعل دونك حجاباً ، وعليك بطلب حوائجك إلى من بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة ، طلب منك أن تدعوه ووعدك بالإجابة .
(يتبع)

(١) الجند : مدينة باليمن .

عَلَى الْبَابِ !!

لِلأستاذ محمود حسن إسماعيل

كلُّ الخطايا في يدي يا ربَّ أجَلُّ مَوْعِدِي !
فتَوْبَتِي مَوْءودَةٌ في مَهْدِهَا لم تُولَدْ
ما زلتُ أدعو اللهَ عَمَّ رَأً ثَانِيًا لجَسَدِي
أُعِيدُ فِيهِ سِيرَةً لِلرُّوحِ مِنْذُ مَوْلِدِي
نَقِيَّةً مِنْ كُلِّ مَا يُقْصِنِي فِي مَرْقَدِي
بَرِيَّةً مِنْ كُلِّ مَا يَشْوِي الرُّؤْيَى فِي خَلْدِي
ويَجْعَلُ الْإِيمَانَ فِي نَفْسِي . . غَرِيبَ الْبَلَدِ
يَمِيشُ كَالضَّوءِ السَّجِينِ فِي ظِلَامِ الْمَعْبَدِ
تَدِيرُهُ أَغْيَالُهُ ^{لِلْغَايَةِ} تَوْجِدِ
مَعْدَبًا كَأَنَّهُ سَرِيرَةُ الْمُضْطَهَّدِ . .
أَوْ ظَامِيٍّ عَلَى سَرَابٍ ظَامِيٍّ مُقِيدِ
أَوْ طَائِرٍ عَلَى خَرِيفٍ هَالِعٍ مُبَدِّدِ
صَبَّ الْأَسَى فِي نَائِيهِ أَنْيْنَ حُلْمٍ أَسْوَدِ
يَطْفِرُ مِنْ قُضْبَانِهِ كَمُسْتَغِيثٍ مُقْعَدِ . .
أَوْ طَارِقٍ أَسْرَارَ بَابٍ فِي الظَّلَامِ مُوَصِّدِ
يُصِرُّ . . نَمَّ يَمْحِي فِي الْيَأْسِ وَالتَّرَدُّدِ . . .
أَوْ سَاحِجٍ فِي جَلَّةٍ مَطْمُورَةٍ بِالزَّبَدِ
فِي جَيْبِ إِعْصَارٍ عَلَى الدُّفْقِ يَتِيمِ الرَّشَدِ

يَزِينُ كَالْفَيْظِ بِصَدْرِ الظَّالِمِ الْمَقِيدِ ...
أَوْ بَاحثٌ عَنْ أَمَلٍ فِي نَفْسِهِ مَفْتَقِدِ
أَضَاعَهُ الْأَمْسُ ... وَضَاعَ عِ الْأَمْسُ فِي تَبِهِ الْفَدِ ...
أَوْ حَائِزٌ عَلَى ظِلَا مٍ قَلِقٍ مُسَهَّدِ
بَغِيرِ نَارِ الْيَأْسِ لَمْ يَهْجَعْ ، وَلَمْ يُوسَّدِ ...
أَوْ تَائِبٌ . . . لَمْ يُنْهَلْ ، وَلَمْ يَتَّيَّدِ
تَنَقَّلَتْ أَشْوَاقُهُ مِنْ مَوْقِدٍ لِمَوْقِدِ
وَلِلْمَعَاصِي حَوْلَهَا أَجْنَةٌ لَمْ تُوَلَّدِ
تَزِيءُ فِي أَحْشَائِهَا بِجَذْوَةٍ لَمْ تَحْمَدِ ...
أَوْ رَاحِلٌ بَغِيرِ تَبِهِ الدَّرْبِ لَمْ يُزَوِّدِ
وَعَبْرَ لَيْلٍ كَافِرِ الرَّاحَاتِ مَصْلُوبِ الْيَدِ
نَجْمُهُ مَبْهُوتَةٌ فِي أَفْقِهَا الْمَصْفَدِ
يُطِلُّ مِنْ شُعَائِهَا السَّحُورِ أَلْفُ رَصَدِ
وَأَلْفُ شَيْطَانٍ بَغْيِ الْوَجْهِ بَاغِي الْجَسَدِ
مُحْزَمٌ مِنَ الْخَطَا يَا بِشَهَابٍ أَسْوَدِ
يَخْطَفُ كُلَّ تَائِبٍ بِسَهْمِهِ الْمَسْدَدِ
وَيَجْعَلُ الْعَصِيَانَ لِلنَّدَمَانِ أَشْهَى مَوْرِدِ
وَيُغْرِقُ النَّاسِكَ فِي بَحْرِ أَثِيمِ الْمَدَدِ ...
يَصْرُخُ . . . وَالْإِيمَانِ فِي جَنْبَيْهِ نَوَاحِ الْيَدِ
مَلَوَّحٌ بِالنُّسْكِ وَالصَّلَاةِ وَالتَّهَجُّدِ
وَكُلُّ زُهْدٍ وَتَقَى لِلرُّوحِ أَوْ تَعَبُّدِ
فَتَعْصِفُ الرِّيحُ عَلَى دُعَائِهِ الْمِيدَدِ ! !

رَبَّاهُ .. بِمَضَى النُّورِ ! قَدْ طَمَّ الدُّجَى فِي خَلْدِي
 سَبَحْتُ بِالْإِيمَانِ فِي تِيهِ عَمِيقِ أَبْدِي
 قَلْبِي إِلَى نوركِ نَشْوَانُ بِحَبِّ سَرْمَدِي
 مُنْطَلِقٌ إِلَى سَمَاءٍ ، بِأُهَا لَمْ يُوصَدِ ..
 وَجَسَدِي مُحْمَلٌ بِكُلِّ ذَنْبٍ مُبْعَدِ !
 وَاصِلْتُ دَقَّ الْبَابِ حَتَّى كَادَ يَمْضِي مَوْعِدِي
 وَكَادَ يُبْلِيَنِي الشَّجَى وَالنُّوحُ حَوْلَ مَوْعِدِي
 رَبَّاهُ بِمَضَى التَّوْبِ وَالْغُفْرَانِ لِلْمُسْتَشْهِدِ
 نَزَعْتُ ذَاتِي ! وَأَنْتَهَتْ حَقِيقَتِي لِلْأَبَدِ
 وَجِئْتُ أَدْعُو اللَّهَ عُمْرًا ثَانِيًا لْجَسَدِي !

مركز تحقيق كاتر علوم إسلامي
 أبو القلوب

مَالِكَ يَا قَلْبِي عَلَى الدُّرُوبِ
 تَبَحُّثُ عَنْ كُلِّ فَتَى مَنكُوبِ
 تَصْنَعُ مِنْ أَنْاتِهِ وَجِيبِي
 هَلْ أَنْتَ يَا قَلْبِي أَبُو الْقُلُوبِ !

« عمر بهاء الدين الأميري »

رسالة من أوسا

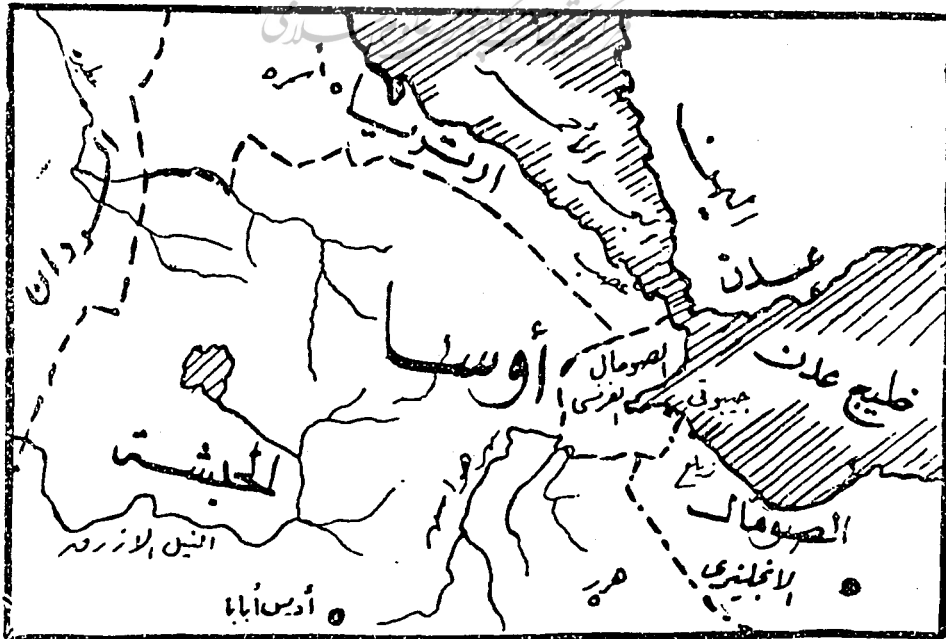
إلى الضمائر الإنسانية الغريزة الطاهرة !
إلى كل نفس عزيزة ، لحمتها الحمية الدينية ، وسداها الإيمان
إلى كل شعب حر مؤمن بالله وحقوق الأوطان !
وبالتالى إلى كل هيئة رائدها الحق والعدل تنادى بحرية الشعوب وحقوق
الإنسان !

أقدم هذه الرسالة التى تعرض بإيجاز آلام شعب مسلم ، يكاد الطغيان المستبد
القاهر أن يستأصل شأفته ، ويستأثر بملكته ، مستخفا بالمبادئ السامية
التي تحملها هيئة الأمم المتحدة وهو من أعضائها ! !

« م . س »

إقليم أوسا الدنكلى :

يقع إقليم أوسا فى الشمال الشرقى من بلاد أثيوبيا (الحبشة) وتمتد مساحتها من
حدود هواش إلى حدود عصب ؛ وتفصله عن بلاد أثيوبيا أودية عميقة وسلسلة



(*) ننشر هذه الرسالة كما وردتنا من الشيخ الجليل صاحب التوقيع ، ويلمس القارىء فيها
روح كاتبها فى « أوسا » تلك البلاد النائية من العالم الإسلامى الفسيح .

« التحرير »

عظيمة من الجبال ، وبطونق جزءاً من بلاد أوسا نهر عظيم ميمون الغدوات مبارك
الروحان ، جعل هذه البقعة ربوة ذات قرار ومعين ، تحسبها زمردة خضراء في اللجين ،
ويكثر في هذا النهر السمك والتمايح وفرس البحر ، وترى العشب منتشراً على شواطئه
وقد غمر الماء معظم أجزائه ؛ والبهم على اختلاف أنواعها ترعى ذلك العشب .
وفي الصيف تصفر تلك الأعشاب ويصيبها الجفاف ؛ وإذا ذاك يعتمد الأهالي إلى إشعال
النار فيها ، فتتشر الحرايق على طول المروج وعرضها ، وتصبح جميع الأعشاب اليابسة
رماداً تذروه الرياح ؛ ولكن الأعشاب لا تلبث على أثر ذلك أن تنمو بسرعة
في اعشيشاب واخضرار ورواء ، فكان رماد الأعشاب المحرقة يعود سماداً دسماً لها .

أما تربة هذه البقعة المباركة فإنها ذات صلاحية عظيمة لزراعة الكثير من أنواع
النباتات ، ولكن الزراعة مقصورة فيها على القطن والزر الأقل من الجبوب ؛ وذلك
لأن الأهالي لا يجدون الحرية في اجتلاب الخبراء الزراعيين من الخارج لتوسيع الزراعة
وترقيتها في وطنهم ، أو للتعاقد مع شركات أجنبية منتجة ، تنمو بالتعاون معها ثروة
الشعب ، وتحسن اقتصاديات البلاد ؛ لأن حكومة أثيوبيا قد فرضت سلطانها على
هذه الإمارة الإسلامية الضعيفة قوة وإجباراً ، وضربت بينها وبين كل اتصال خارجي
ستاراً من حديد مهما كان نوع الاتصال ، حتى فيما يتعلق بمناسكها الدينية ،
أومصالحها الصحية أو الثقافية .

ثروتها :

يقرر كثير من العلماء الذين زاروا بلاد « أوسا » أنها ذات ثروة طبيعة عظيمة ؛
فهي معتدلة المناخ ، طيبة الهواء ، غزيره الماء ، جيدة التربة . ويوجد فيها من المعادن
ما يلعب اليوم دوراً خطيراً في اقتصاديات العالم وسياسته ، ولا سيما زيت النفط ؛
فقد ورد في تقارير بعض العلماء الذين ارتادوا تلك الجهات أن منابعه كثيرة في واحة
« أوسا » وأورد الأستاذ أسعد بولس في كتابه (الحبشة) : « إن ما اكتشف
من منابعه في واحة « أوسا » ما بين سنة ١٩٢٩ وسنة ١٩٣٥ سيجعله قريباً من أهم
مصادر الثروة في هاتيك البلاد . وقد اكتشف هذه المنابع ثلاثة من كبار الخبراء ،

أحدهم المستر نسبت ، والثاني السنيور فرانكتي ، والثالث دي برورك . . ولكن ما هنالك من الرسوم والكوس والقيود المفروضة على مختلف الحاصلات من جهة ، وصعوبة المواصلات واضطراب جبل الأمن من جهة أخرى ، من العوامل الجوهرية في بقاء الحركة التجارية وغل أيادي التجار . . . » .

وللشعب الأوسى ثروة حيوانية عظيمة ، لأنهم يهتمون اهتماماً شديداً بتربية الماشية : من إبل وبقر وأغنام ، فينتفمون بلحومها وألبانها وزبدتها وشعرها ووبرها وجلودها ، ويبلغ متوسط ما يملكه الفرد منها سبعين رأساً ، تتفاضى الحكومة الحبشية عن كل رأس منها شلناً سنوياً ضريبة إجبارية دون مقابل .

أما ثروة أوسا النباتية فإنها بالنسبة إلى بركة نهرها وجودة تربتها — ضئيلة جداً لا تعدو زراعة الذرة والقطن والسمسم . ومع الاقتصار على هذه الأنواع فالإنتاج منها قليل لا يكاد يقوم بسد حاجة البلاد .

ويمكننا أن نعد العسل من حاصلات هذه البلاد ولو أن أهلها لا يعنون باقتناء النحل ، فهي سائمة تتخذ من الجبال بيوتا تخزن فيها عسلها .

إن المستيرين في الشعب الأوسى يعلمون أن شمع العسل مصدر من مصادر الثروة لماله من مكانة عظيمة في فنون الصناعات الحديثة ، ولكن كوابيس الطغيان الغاشم هي التي تصرف العاملين عن استغلال موارد وطنهم .

ومن المعلوم أن المظالم المدمرة للهمم ، المميتة للعزائم ، تطفئ الآمال في النفوس . وإذا فقدت النفوس أملها في الاستفادة من نتائج جهودها تخمد فيها جذوة النشاط الفكرى والجسمانى ، ويفمرها اليأس ، فتستسلم للجمود والخمول والانطواء على العيش الزهيد .

الشعب الدنكلى :

إن الشعوب القديمة التي كانت تسكن الجهات الشرقية من القارة الإفريقية في الأزمان الغابرة السحيقة ، لا يخبر عنها تاريخ ولا يدل عليها أثر ولا يروى عنها خبر إلا ما هو في حكم الأساطير والخرافات ، تتداولها الألسنة في تلك الجهات

في أقاصيص بدائية سخيصة لا يصح الاعتماد عليها ؛ لأن هذه الجهات طفت عليها موجات بشرية من الهند والسند وجزيرة العرب في بعض أدوار التاريخ ، حتى قوى تيار الهجرة إليها واشتد مدة ، ولا سيما من البلاد المجاورة لها - أى بلاد العرب - وبهذا حدث انقلاب تناسلي جارف ذابت فيه العناصر الأصلية أو انعدمت ، ونشأت على أطلالها شعوب تاريخية جديدة امتزج في تكوينها دماء العناصر الأصلية البائدة ودماء العناصر الدخيلة الجالية .

بهذا الانقلاب الاجتماعي الخطير أسدل الزمن على عهد الشعوب الغابرة في هذه البيئات حجباً قائمة من الغموض والإبهام ، وأصبحت هذه الشعوب المعروفة خلفاً لتلك العناصر البائدة في امتلاك هذه البلاد .

ومن هذه الشعوب الإفريقية المعاصرة « العفرة » وهو الشعب الدنكلى المعروف في شرق إفريقية المحاذية للشواطئ الغربية من القطر اليمنى ، والمعروف لدى المؤرخين بالعربية السعيدة . وتمتد بلاد الشعب الدنكلى من هواس إلى أرتيرية في وحدة جغرافية تتكون من أقاليم متماسكة متصلة ، يعتبر إقليم أوسا من أغناها وأخصبها ، وهو الإقليم الذى استباحته حكومة أثيوبيا واستأثرت بخيراته ، متغاضية عن إمارته واستقلالها الداخلى ، محاولة ضمها إلى امبراطوريتها تحت سمع هيئة الأمم المتحدة وبصرها .

وقد كرسنا هذه الرسالة لعرض قضية هذه الإمارة الإسلامية وشعبها الدنكلى المسلم على دول العالم بأسرها وبوجه خاص على الدول الإسلامية .

ولا بد لنا هنا من الإشارة إلى بعض صفات الشعب الدنكلى ، وإلى نوع معيشتة وزرعته وميوله بإيجاز واختصار .

إن الشعب الدنكلى بوجه عام شعب هادئ مسلم ، له لغة خاصة لا تمت إلى اللغة الأثيوبية بأى صلة ، بل تختلف عنها كل الاختلاف في الأصول والفروع حتى المنفردات ، ويتميز عن الشعب الأثيوبى في تكوينه الجسمانى ، كما يختلف عنه في التقاليد والعادات كل الاختلاف ، ويظهر أن الشعب الدنكلى لا يزال متمسكاً بشيء من تقاليد أسلافه الإفريقيين البائدين ، غير أن معظم تقاليده المحافظ عليها

تسمو بها إلى درجة رفيعة من مكارم الأخلاق؛ ولعل للتعاليم الإسلامية الفضل الأكبر في إيجادها .

وبما أن الفرد يتأثر بالشعب الذي ينتمى إليه ويؤثر فيه ، وأن ما يصح على الفرد من حيث الصفات الأخلاقية يصح على الشعب الذي ينتمى إليه ، فيمكننا أن نحكم بأن للشعب الدنكلي من الصفات الأخلاقية ما يسمو إلى مراتب الفضل ، لأننا نلص هذه الصفات في كثير من أفرادها .

فمن ذلك ما نلمسه فيهم من حرص وتمسك شديدين بمبادئهم الإسلامية ، ولقد عيّت بتنصيرهم جميع البعثات التبشيرية التي أوغلت في بلادهم وعادت أدراجها خاسرة ، ولذلك لا تجد فرداً دنكلياً متنصراً ، بعكس الشعوب الأخرى المجاورة لها ، كما لا تجد منهم فتاة مؤمسا رغم حرية البغاء في المناطق المستعمرة من بلادهم وانتشاره في الفتيات المواطنات اللاتي ينتمين إلى قبائل أخرى .

ومن صفات الفرد الدنكلي الترفع عن السؤال ، فلا تجد فيهم شحاذاً يسأل الناس إلحافاً ؛ حتى إن الفقراء منهم يترفعون عن قبول حقهم من الزكاة ويستنكرونها مهما بلغ بهم الفقر وأرهقتهم الحاجة .

ومن صفاتهم النفور والتزه عن السرقة ، ولذلك لا تجد دنكلياً سجيناً ، بل إنهم ليتورعون عن الاصطدام بكل ما من شأنه أن يفضي بهم إلى الوقوف أمام المحاكم الجنائية ، ويحرصون كل الحرص على فض ما يشجر بينهم من نزاع وخصومات بواسطة هيئة منهم ، يحكمونها دون الالتجاء إلى المحاكم القانونية .

وهم إلى ذلك شديداً التقوى والخضوع لأوامر الدين ونواهيه ، ولهم إقبال عظيم ، في رغبة ملحة ، على التفقه في الدين ، كما أن للمثقفين بالثقافة الإسلامية ميلاً إلى الاستنارة بالعلوم الغربية الحديثة .

وهم إلى ذلك يتصفون بشجاعة نادرة ، ويمتازون بقوة الأبدان وحسن التقاطيع ، ولكنهم ينزعون إلى الهدوء والمسالمة والصدق في المعاملة بسذاجة وبراءة طبيعيين .

أما فيما يتعلق بمعيشتهم فإنهم ينزعون إلى تربية الماشية من إبل وبقر وغنم وهي نزع موروثه انتهت إليهم من أسلافهم ، وهي في الحقيقة مدار معيشتهم ، ومنهم من يهتم بالزراعة وهم سكان المناطق الخصيبة ، إلا أن هؤلاء أيضاً لا يصرفهم الحرث عن العناية بتربية الدواب . والمتحضرون منهم يزاولون مختلف الأعمال ، وبعضهم يمارسون الأعمال التجارية ، ومنهم من يعملون في الملاحة ؛ وهم بعض سكان الشواطئ .

ولعل في هذه الإشارة البسيطة ما يفي بالغرض الذي نرى إليه من تحرير هذه الرسالة .

[البقية في العدد القادم]

« م . س »



مركز تحقيقات كميتر علوم سدری
رَبِّ خَضِرَاءِ الدَّمَنِ

كنت مغروراً بكم إذ كنتمُ شجراً لا تبلغ الطيرُ ذراها
لا تبیت الليلَ إلا حولها حرسٌ ترشح بالموت طُباها
وإذا مُدَّتْ إلى أغصانها كيفُ جان قُطعت دون جناها
فتراخى الأمرُ حتى أصبحت هملاً يطمع فيها من يراها

« عربي قديم »

في أفق العمل الاستراتيجي

حلف تركيا - باكستان

تهتم الولايات المتحدة الأمريكية بمنطقة الشرق الأوسط - نعتي الرقعة الأرضية المحصورة بين المحيطين الهندي والأطلسي - منذ انتهت الحرب العالمية الأخيرة اهتماما ملحوظا ، ويرجع هذا الاهتمام إلى عدة عوامل ، أهمها أنها منطقة غنية بالموارد البشرية ، إذ يعيش فوقها قرابة ٥٠٠ مليون من البشر ، يجد بينهم الإنتاج الأمريكي الضخم سوقاً نافقة لسلعه وقت السلم ، فإذا ما نشبت الحرب أمكن للعسكريين الأمريكيين أن يقدفوا بقطعان هائلة من هذه المخلوقات الأدمية كوقود بشري في أتونها المضطرم .

ومى كذلك منطقة غنية بالموارد الطبيعية ؛ ففي الشرق الأوسط ثروات بترولية هائلة ، تدر على الشركات الأمريكية التي تستنزفها ألوف الملايين من الدولارات كل عام . ومن المفارقات المضحكة المبكية أن حكومات الشرق الأوسط تبيع حريتها وسيادتها وتضع بلادها تحت رحمة العسكريين الأمريكيين نظير بضع عشرات الملايين من الدولارات الأمريكية تتصدق بها أمريكا عليها في صورة معونة فنية أو عسكرية أو اقتصادية !

والشرق الأوسط حيوى للولايات المتحدة من الناحية الاستراتيجية . . فهو يحتوي على بعض المضائق المائية الهامة كقناة السويس وبوغازات باب المندب ، والبوسفور والدردينيل وجبل طارق ، كما أنه يتاخم حدود الاتحاد السوفيتي من الجنوب ، وهذا أمر له خطره وأهميته ، إذ تحاول أمريكا أن تقيم سياجا حول الاتحاد السوفيتي من الدول التي تربط بعجلتها والتي تطلق عليها اسم دول العالم « الحر » ، وذلك حتى تتحمل هذه الدول الصدمة الأولى في الحرب القادمة ، وتمرقل الهجوم السوفيتي على الولايات المتحدة في عقر دارها قدر المستطاع ، ولأبأس أن تغني هذه الشعوب « الحرة » دفاعاً عن زعيمة « العالم الحر » ! ومقتضى هذا المنطق الأمريكي أنه من الواجب على كل دولة أن تسارع بالدخول مع أمريكا في حلف عسكري اقتصادي ، وأن تجعل بلادها ومرافقها وإنتاجها وسياستها رهن تصرف العسكريين الأمريكيين . . وبالاختصار تصبح - كتركيا - « بيدقا » تحركه الأصابع الأمريكية في مباراة الشطرنج الدولية ! فإذا مارفضت الشعوب الانتحار ، فإنها تبقى « منطقة فراغ » حسب التعبير الأمريكي ، ويعنون « منطقة الفراغ » البلاد التي لم تمتلئ بعد بجنود أمريكا ودباباتها .

فليس غريبا إذن - من وجهة النظر الأمريكية - أن تهتم الولايات المتحدة بمنطقة الشرق الأوسط هذا الاهتمام الكبير ؛ فتحاول سد « الفراغ » بنفس الطريقة التي سدته بها في تركيا واليونان من قبل . وقد كان من مظاهر هذا الاهتمام الأمريكي أن سجلت المراسد في الشهور القليلة الماضية هزات سياسية داخلية في معظم بلاد الشرق الأوسط ، ولا يصعب على المراقبين أن يستشفوا الأصابع الأمريكية التي تلمب وتحرك من وراء الستائر . وقد تتبعنا في العدد الثالث من « المسلون » بعض مظاهر النشاط الأمريكي في الرقعة

الإسلامية . . وقد اتضحت ملامح هذا النشاط وغايته إلى حد كبير في الفترة بين كتابة مقالنا الأخير وتحرير هذه الشطور ... وتفصيل ذلك مايلي :

أصدرت حكومتا كراتشي وأنقرة بيانا مشتركا يوم ١٩ فبراير فخواه أن الحكومتين ستكونان محورا يستهدف دعم التعاون بينهما في مسائل السياسة والثقافة والاقتصاد . وبعد ثلاثة أيام أعلن رئيس وزارة باكستان أن حكومته قد طلبت رسميا من الولايات المتحدة إمدادها بعون عسكري طبقاً لبرنامج المساعدة للدفاع المتبادل ، وسرعان ما أعلن أيزنهاور ترحيبه بهذا الطلب ووصفه بأنه « خطوة لإنشائية لدعم الأمن في منطقة الشرق الأوسط بأسرها ... » وفي يوم ٢ أبريل أعلن من كراتشي أن الحلف التركي الباكستاني قد وقعت معاهدته ، وأنها معاهدة مفتوحة أمام أي دولة ترغب في الانضمام إليها ، وصرح وزير خارجية تركيا بأنه يتنى أن تنضم الدول العربية إلى الحلف الذي سوف يعزز من قوة حلف الأطلسي .

وشبهه بهذا تصريح السيد محمد علي رئيس حكومة باكستان الذي قال فيه : « إن باكستان تأمل أن تعقد مع جميع البلاد العربية والإسلامية اتفاقيات مشابهة لاتفاقيتها مع تركيا » . وكما قال في تصريح آخر : « إن هذه المعاهدة تعد نقطة تحول في التاريخ الإسلامي المعاصر ، وإنها خطوة واسعة نحو تقوية العالم الإسلامي » مشيراً بهذا إلى تكوين كتلة من الدول الإسلامية تكون هذه الاتفاقية نواة لها ... وقد سبق لظفر الله خان وزير خارجية باكستان أن نادى بهذه الفكرة منذ أعوام ، وبلغ من تحمسه لها أن وجه بها دعوة رسمية إلى الحكومات الإسلامية ، وقام بجولات متتالية للعواصم الإسلامية يروج لها .

وقبل أن ندلي برأي « المسلمون » في هذا كله نعرض لموقف بعض الدول الإسلامية والعربية من محور باكستان — تركيا — أمريكا :—

إيران :

اهتمت الصحف زاهدي — وهو منهم بأن يله ميولا أمريكية — بأنه ينوي ربط إيران بمجلة هذا الحلف ... ونرى أن زاهدي سوف لا يتردد في هذا ... ولكن بعد أن يحل مشكلة البترول الإيراني التي مازالت قائمة ، والتي تحاول أمريكا أن تحملها على أساس أن تدخل شركات الزيت الأمريكية مساهمة في شركة الزيت الدولية المزمع تكوينها بنصيب معادل لنصيب الشركة البريطانية فيها ... ويبدو أن العقبة الوحيدة في سبيل الوصول إلى حل المشكلة هو تمسك إنجلترا بحصولها على تعويض عن إلغاء امتيازها ...

العراق :

كتبت الصحف الأمريكية مراراً — نقلا عن مصادر وزارة الخارجية الأمريكية — أن العراق ستكون ثالثة الأثافي في الحلف الباكستاني التركي ، وترامت الأنباء البرقية تفيد أن العراق يفكر جدياً في ذلك ... ونسبت إلى الدكتور فاضل الجمالي رئيس وزارة العراق تصريحات تؤيد ذلك ، وقيل إنه ينتقم بهذا المسلك الانفرادي من دول الجامعة العربية التي خذلت مشروعه الحاس بالاتحاد بين الدول العربية . كما « تصادف » أن قام الملك فيصل والأمير عبد الإله والسيد نوري السعيد بزيارة رسمية لباكستان يوم ١٢ مارس الماضي وفي غمرة هذه الأحداث ... إلا أن اللجنة السياسية للجامعة العربية أذاعت بيانا يوم أول أبريل الجاري تنفي فيه الشائعات التي راجت عن

(٢)

(البقية بعد الصفحات الانجليزية)

انضمام إحدى الدول العربية لحلف تركيا باكستان ، وأكد البيان أن الدول العربية جميعا — وخمس العراق بالذكر — لم تفكر في الاشتراك في هذا الحلف ، وأنها لن تقبل أى التزام ينقص من « سيادتها السكّالة » و « استقلالها التام » ... ونحن نقول : أفلح — أى العراق — إن صدق !

سوريا :

نشرت صحيفة أميركية تصريحاً منسوباً للسيد صبرى العسلى رئيس الوزارة السورية يرحب فيه بالميثاق ، ويعلن أن سوريا ستنتخلى عن سياسة العزلة التى تنتهجها ... إلا أن الرئيس السورى كذب الحديث .

لبنان :

وصل إلى بيروت مستر « باركر هاوت » مدير قسم الشرق الأدنى بوزارة الخارجية الأميركية وعرض على الحكومة اللبنانية تقديم معونة مالية قدرها حوالى ٣٥ مليوناً من الدولارات ، وقد قبلت الحكومة العرض من حيث المبدأ ، مما أدى إلى قيام مظاهرات احتجاج من طلبة الجامعة الأميركية والمدارس الثانوية ، وقد أطلق البوليس — مع الأسف — الرصاص على الطلاب المتظاهرين فقتل منهم وجرح .

المملكة العربية السعودية :

وقد استهدفت — كالعراق — لضغط دبلوماسى أميركى لتنضم للحلف ... ولكن يبدو أنها صمدت لهذا الضغط ، فقد صرح جلالة الملك سعود بأن بلاده ترفض قبول المساعدات والأسلحة الأميركية احتجاجاً على مماثلة أميركا لإسرائيل ولإنجلترا فى احتلالها قناة السويس . . . وقد قام جلالاته بزيارة رسمية لمصر دارت فيها مباحثات سياسية هامة لم يصرح عنها المسؤولون بأكثر من أنها لخير العرب .. وسيزور باكستان فى منتصف هذا الشهر حيث يتداول مع المسؤولين هناك فى موضوع الحلف التركى . . . وستتضح اتجاهات العامل السعودى بعد انتهائه جولته التى توصف بأنها « للاستطلاع » و « جس النبض » .

الأردن :

أذيع أن ملكها سيزور باكستان فى الشهر القادم زيارة رسمية ... وهكذا أصبحت باكستان بؤرة نشاط سياسى ضخم بعد أن صارت محور الدفاع الأمريكى عن الشرق الأوسط ..

بقى أن نقول رأينا فى هذا الحلف التركى — الباكستانى — الأمريكى ... وأهم ما يسترعى نظرنا عند التعليق عليه هو محاولة الرسميين من الحكام المسلمين استغلال الإسلام لتسويق هذا الحلف لدى الشعوب الإسلامية ، ومحاولتهم ربطه بفكرة الكتلة الإسلامية التى هى أمل عزيز لدى المسلمين . ولقد حذرت هذه المجلة مراراً من محاولة استغلال الإسلام فى تكوين كتلة تشايع أحد العسكريين ضد الآخر ، ولا بأس أن نوجز للتذكرة ماسبق أن كتبناه فى أمور ثلاثة : —

أولاً : الجامعة الإسلامية — كما يقرها الإسلام — هي رابطة تربط المسلمين ببعضهم من جهة ، ومن جهة أخرى تربطهم بمثل الإسلام العليا . فهي « إسلامية » من حيث أن أهلها يجمعهم الإسلام : « إسلام » عواطفهم لله رب العالمين ، و « إسلام » أمور حياتهم لأحكامه وأشريعته ، وبغير ذلك لا تكون جامعة إسلامية ، وإنما قد تكون تكتلا على عصبية من نوع لا يعرفه الإسلام ، ولو كانت عصبية دينية .

ثانياً : تنهم هذه المحاولات بأنها ليست خالصة لله ولنفع المسلمين بقدر ما هي وليدة التأثير والإبحاء الخارجي ، وبعبارة أوضح : فهذه السكتة يراد من ورائها استقلال الإسلام في محاربة الشيوعية لحساب الدولار الأمريكي ... ونحن وإن سلمنا بأن الإسلام والشيوعية لا يتفقان ، إلا أننا نعلم الإسلام باستقلاله لحساب مذهب سياسي واقتصادي آخر لا يعرفه ، ومن السخف أن نفكر في دفع عدوان موهوم في الوقت الذي نزرع فيه تحت نير زعميات العالم « الحر » أمريكيا وإنجلترا وفرنسا .

ثالثاً : مما يشكك في جدية اتجاه القائمين بهذه الأحلاف إلى نفع الإسلام ، أنهم يحاربون دعاة الإسلام الصحيح في بلادهم ويضطهدون الجماعات التي تنادى بتعاليم الإسلام ، نفوراً منهم من شعارات الإسلام وأحكامه التي لا يطبقونها حتى على أنفسهم ، وعدم اقتناع منهم بصلاحيات الإسلام للتطبيق كنظام ومنهاج للحياة ، وقد كان الأجدر بهم قبل أن يتاجروا به في السوق الدولية أن يقرعوا أنفسهم بداءة بأنه صالح « للاستهلاك المحلي » .

من أجل هذا لم نعجب عندما رأينا هذا الحلف يقوم بين تركيا وباكستان — بالذات — فتركيا قد سلخت من إسلامها منذ انقلاب أناتورك ، وتمردت حكمها على صفاتها الإسلامية باسم النهضة والتجديد ، وانهجوا سياسة قائمة على المصلحة الذاتية المجردة دون نظر لصالح أى دولة إسلامية أخرى ... واتضح هذا بجملاء من اعترافها بإسرائيل وتعاملها معها منفردة في ذلك دون بقية الدول الإسلامية ، غير عابئة بسخط المسلمين واستنكارهم .

وباكستان التي ضاقت بالموذودى وجماعته فسجنتهم وكادت أن تعدمهم ، لأنهم أعلنوا رأى الإسلام في القاديانية التي يدين بها وزير خارجيتها الدائم منذ قيامها سنة ١٩٤٧ رغم تعاقب ثلاث حكومات ... ظفر الله خان .

وإذا كان هذا هو موقف الحكام والساسة فإن للشعوب موقفاً آخر تفصح عنه كلما واتتها فرصة للانفصاح ، فسرعان ما عبر شعب باكستان عن رأيه في هذه الأحلاف العسكرية ؛ فقد أسفرت انتخابات الباكستان الشرقية عن هزيمة حزب الرابطة الإسلامية ، وهو حزب الحكومة ، إذ نال سبعة مقاعد من ٢٣٧ مقعداً !! وفازت المعارضة التي تدين بهذا فكرة الأحلاف العسكرية ببقية المقاعد .. ومع وضوح عدم رضا الشعب عن حكومته الحالية فما زالت متشبثة بكراسي الحكم ، تنفذ سياستها المرسومة في واشنطن .

وبالنسبة لتركيا فنحن ننتظر يوم ٢ مايو القادم حيث ستجرى الانتخابات العامة ، وسيختار الأتراك بين أحزاب ثلاثة — عدا الشيوعيين الذين حل حزبهم — وهى الحزب الديمقراطي الذي يتربع في الحكم الآن ويسير في سياسته الخارجية خلف الولايات المتحدة وقد أسلمها الزمام ... حتى وصل بتركيا إلى أن أصبحت متأثرة كأمريكا نفسها ، وحزب الشعب — وهو حزب أناتورك — الذي حكم تركيا ثلاثين عاماً متوالية حكماً مطلقاً ، وهو شبيه بالحزب السابق

في سياسته الخارجية ، وينادى مثله بإبعاد الإسلام عن واقع الحياة العمل ، ومحارب مظاهر العقيدة الإسلامية في الشعب ...

والحزب الثالث هو حزب الأمة ، وينادى بإطلاق الحرب الدينية للشعب ، وانهاج سياسة إسلامية واضحة في الداخل والخارج ، وتقوية الروابط بين تركيا والدول الإسلامية ونبد الأتحاف العسكرية مع دول الغرب ... وقد التفت حول هذا الحزب جمهور ضخم من مختلف هيئات الشعب وصفوة كبيرة من الجامعيين والفقهاء ، والأمل معقود عليه أن يفوز بنسبة كبيرة ، من المقاعد رغم الاضطهاد والتضييق على أنصاره ، بشرط أن تجرى المعركة في حرية وهدوء ، بعيدة عن تأثير الدولار الأمريكي .

وقد نادى الشعوب الإسلامية والعربية ممثلة في هيئاتها الشعبية وزعمائها الوطنيين برغبتها في ألا يزعجها في الصراع العالمي .. وألا تتورط حكوماتها في أتحاف عسكرية مع دول الغرب .. وقد وضع هذا الاتجاه الشعبي في كل من أندونيسيا وإيران والعراق ولبنان ... وقد عبر الأستاذ حسن الهضيبي المرشد العام للإخوان المسلمين عن هذا الاتجاه بقوله : إن الإخوان المسلمين في كافة البلاد الإسلامية يعارضون قبول المساعدات الأجنبية للدول الإسلامية لأنها ترتبط بقيود تهبط كاهل الدول التي تقبلها ... كما صرح فضيلته بأن الإخوان يطالبون الحكومات الإسلامية بأن تنأى بشعوبها عن الصراع بين المعسكرين الشرقي والغربي ، وأن تنهج سياسة خارجية قائمة على الحياد ...

أخبار متفرقة

* سافر رئيس التحرير إلى القدس للإشراف على مكتب المؤتمر الإسلامي الدائم فيها ، بوصفه الأمين العام ، وقد كان المقرر أن يسافر في منتصف يناير الماضي إلا أن الظروف حالت دون ذلك

* روعتنا الأنباء بنعي المجاهد الإسلامي الكبير العلامة مسعود الندوى ، إذ توفي فجأة في كراتشي عن عمر ناهز الرابعة والأربعين ، وقد كان رحمه الله من دعائم الحركة الإسلامية في باكستان خاصة والعالم الإسلامي عامة . و « المسلمون » تميز بفقدته الأمة الإسلامية وتسأل الله له واسع الرحمة والرضوان .

* أطلق البوليس الفرنسي النار على طلبة جامعة الزيتونة بتونس فقتل بعضهم ... والسبب هو أنهم تظاهروا مطالبين بتعديل برامج الدراسة بإدخال العلوم المدنية ، ورفع مستواهم من حيث السكن والغذاء .

* يزور هيلاسلاسى إمبراطور الحبشة الولايات المتحدة الأمريكية في مايو القادم ، وستمنح الحكومة الأمريكية بلاده معونة عسكرية .

* وردنا متأخراً مقال لفضيلة الدكتور مصطفى السباعي بعنوان « دروس من الأسراء »

وسينشر في العدد القادم إن شاء الله .

« التحرير »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محتويات هذا العدد

صفحة	
١	غزوة تبوك ... لرئيس التحرير ...
١٢	الإسراء والمعراج ... لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة ...
٢١	في ظلال القرآن ... للأستاذ سيد قطب ...
٢٩	الانحراف عن العقيدة ... للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى ...
٣٤	خاطرة : أم حرام ...
٣٥	الآثار العلمية للمذاهب ... للأستاذ الدكتور محمد معروف الدواليبي ...
٤٢	الطريق إلى مكة ... للأستاذ محمد أسد ...
٤٧	التصوف والأخلاق ... للإمام الشهيد حسن البنا ...
٥٠	كارثة فلسطين ... للأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس ...
٥٥	حول السياسات الاقتصادية ... للأستاذ عيسى عبد الله إبراهيم ...
٦٢	أيها المخلفون ...
٦٧	دستور الضرائب ... للأستاذ الدكتور محمد فؤاد إبراهيم ...
٧٣	القائد الفاتح الأحنف بن قيس ... للأستاذ السيد عبد الدين الخطيب ...
٨٠	إن لبدنيك عليك حقاً ... بإشراف اللواء الدكتور أحمد الناقه ...
٨٣	باب الكتب : نقد وتمريف ...
٨٦	مع العارفين : طاوس اليماني ...
٩٠	على الباب « شعر » ... للأستاذ محمود حسن إسماعيل ...
٩٣	رسالة من أوسا ... للأستاذ (م . س) ...
٩٩	في أفق العالم الإسلامي ...

Facts About The Muslim Brotherhood 2

الفهرس ١٠٨

The surplus would be returned to the Bayt-ul-Mal for outlays in all parts of the Islamic homeland without discrimination on account of creed or color.

(3) A Perfect Way of Life

Islam legislates for humankind a complete and equitable system: for while it holds the human spirit in an exalted position and prescribes ideal ethical principles, it does not deny the importance of the material in his life; its legislation is a balanced admixture of the spiritual and the material, the spiritual directions along with legal safeguards.

Thus Islam is not a mere religion in the sense denoted by the equivalent term in English. It is rather a comprehensive way of life spiritually and materially, in the conscience of the individual as well as in the matrix of the group, including the principles of obligation and the state, and dealings of all sorts whether they be economic, political or international,

Such expressions as religion and state, faith and politics, etc. as they are understood in the West, have no equivalent in the Islamic lexicography. The term "Islamic religion" embraces all these concepts in total, but integrally and indissolubly. The Muslim performs his prayers in the mosque, sells his commodities in the market, decides between litigants in a court of law, manages the affairs of state, concludes treaties and covenants with other states, fights in the name of justice and right on the battlefield . . . he does all these things motivated by one spirit, and in accordance with one shari'ah, and in the inspiration of one creed and system - the system of Islam,

Islam builds this imposing edifice on the basis of a belief in God and places the God-fearing conscience as a guardian over legislation and implementation. It makes the link between this conscience and God the pillar of this system for it is always possible to evade and cheat the law, but the eternally vigilant eye of God is always on the watch for those who dare violate upright conduct.

The Islamic system is founded upon the conscience's awareness of God in both private and public behavior, as well as upon the preventive social and economic guarantees to which reference had been made earlier.

Islam depends upon two sets of guarantees more than it depends upon sanctions and punishments.

(to be continued).

Moving from the family to the social structure we find social cohesion an imperative in all social relationships and not merely in the spheres of finance and economics.

There is a reciprocal relationship of interdependence between the individual and the group, as regards both rights and obligations. Islam goes so far in this regard that the two interests are inseparably integrated.

Every individual is duty bound to perform his own job satisfactorily, because the fruits of his toil would register their impact upon society as a whole. He is also obliged to refrain from evil deeds and to prevail upon others to do likewise. It is his duty to respect the rights of the community and to struggle towards its preservation and survival.

On the other hand, the individual is entitled to certain rights from the community or the state which represents it; it is the right to be afforded training - both theoretical and practical for gainful and productive employment. The right to a job is also mandatory upon the state towards all able-bodied citizens.

Every worker is entitled to adequate housing facilities, to protect him from heat, cold, rain and to insure him privacy; he is also entitled to adequate clothing, food and transportation commensurate with the needs of the time. If he wishes to get married and does not possess the means to do so, the state is duty-bound to help him satisfy this instinctive calling so as to safeguard him from indulging into illicit and immoral practices.

The individual is held responsible for any delinquency in meeting his obligations, and the state is responsible likewise for any failure to meet its obligations towards the individual.

It is thus clear that social cohesion in Islam is not a system of philanthropy and charity; it is a system designed to prepare the citizen for productive endeavor. Only those who are partially or totally incapacitated, whether temporarily or permanently qualify for help through the zakàh and charity.

Zakàh is only one aspect of the manifold ramifications of the principle of social cohesion. It is not a mere personal charity left to the private consciences of the individuals. It is a right exacted and spent by the state in ways very similar to those which in the modern era come under "social security" and "social insurance" combined; it is administered, however, on the basis of decentralization. The zakàh funds of each region should be allocated principally towards meeting the needs of that particular locality.

and sensitivities, and to assert his personolity and will. Freedom and obligation are the pre-requisites of an independent personality. But this apparently individual cohesion is in reality a social one in the wider sense of the concept in Islam. For the training of the individual in this manner is a preparation for the part which he is called upon to play within the social matrix.

Islam then moves from the realm of the individual to that of the family. Again, the family structure is based upon solid cohesion in which advantages and liabilities, rights and obligations are equalized. The family is the cornerstone in the establishment of society; if its edifice is based upon this principle of cohesion and balance, the social obligations of the state are to that extent lightened and reduced, because a substantial portion of such obligations can be shouldered within the orbit of the family.

Such cohesion in the family does not pertain merely to economic affairs; it is all-embracing in scope and includes protection of motherhood, the duty of caring for the children and their adequate preparation physically, mentally and spiritually, the duty imposed upon the offspring towards their parents in their old age and senility, in addition to the normal financial obligations incurred by every family.

With a view to safeguarding motherhood and in order to maintain a healthy "home" atmosphere in which the young may be adequately brought up, Islam has imposed the financial duties of maintenance upon man and has exempted women therefrom. This is designed to afford the mother the necessary time and energy for rearing her young offsprings. A mother who is exhausted by manifold duties outside the home is in no position to afford a healthy home atmosphere. The homes of women employees and workers are more akin to hotels than to family homes. A woman, a wife, or a mother who expends her energies in extra home activities would only bring to the home the fatigue, the exhaustion and the disconcerting effects of her outside work.

Islam does not forbid the women to work; but it does not make work obligatory upon her as it does upon man, in view of the aforementioned reasons, and in order to equalize the burden for males and females.

Islam recognizes women's right to gainful employment if she so desires; it also safeguards her inheritance rights, her right for unrestricted financial dealings, her right to choose her life partner, and her right to revoke the marriage contract when life becomes intolerable.